روايات مصرية للجيب

قضية المخلب الذهبي

٤٨

ع × ٢

سلسلة أفلام بوليسية مثيرة للشباب

WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID

د. نبيل فاروق

١ ــ حادثة قتل ..

بدا ذلك الرجل النحيل ، الأنيق الملبس ، شديد الشحوب ، زائغ البصر ، على نحو ملفت للانتباه ، وهو يدلف إلى قسم الحوادث ، بتلك الجريدة الشهيرة ، التى يعمل فيها (عصام كامل) ، حتى أنه قد أثار انتباه واهتمام جميع العاملين بالقسم تقريبًا ، ودفع رئيسهم إلى أن يسأله فى قلق :

ــ ماذا هناك يا سيِّدى ؟.. عمَّ .. أو عمَّن تبحث ؟

أدار الرجل بصره فى توتر واضح ، وهو يقول :

ــ (عصام) .

عقد رئيس القسم حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ (عصام) ؟!.. أتقصد (عصام كامل) ؟

هتف الرجل فى لهفة :

ــ نعم .. نعم .. هذا من أقصده .. أين هو ؟

ازداد انعقاد حاجبى رئيس القسم ، وهو يقول :

ــ إنه لم يصل بعد .. يمكنك انتظاره بعض الوقت ، و .....

تشبث الرجل بذراعى رئيس القسم ، وهو يهتف فى ارتياع مثير للدهشة :

ــ لن يمكننى الانتظار .. لم يعد هناك ما يكفى من الوقت لذلك .. قل لى أين هو .. أخبرنى أين أجده ، وسوف ..

قاطعه صوت (عصام) ، يأتى من باب القسم ، قائلًا :

ــ لا داعى ، هأنذا ..

لم يكد الرجل يسمع صوت (عصام) ، حتى دفع رئيس القسم بعيدًا ، واستدار بكيانه كله إلى (عصام) ، هاتفًا :

ــ حمدًا لله .. إذن فأنت هنا .

سأله (عصام) فى هدوء ، وهو يتأمَّل فى ملامحه فى حيرة :

ــ معذرة .. ولكننى لست أذكر أننا قد التقينا من قبل .

هتف الرجل ، وهو يندفع نحوه :

ــ هذا صحيح .. إننا لم نلتق أبدًا من قبل ، ولكنى أعرفك .. إننى أتابع كل ما تنشره من تحقيقات ، وأنا واثق من أنك الرجل المناسب ..

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ المناسب لماذا ؟!

دار الرجل ببصره حوله فى خوف ، ثم قال فى توتر :

ــ أليس من الأفضل أن نتحدَّث وحدنا ؟

تطلع (عصام) إلى ملامحه المذعورة فى قلق وشك ، وهمَّ برفض ذلك الاقتراح تمامًا ، لولا أن فضوله الصحفى كان يفوق مشاعره كافة ، ويدفعه إلى أن يقول فى خفوت :

ــ أين ؟

لوَّح الرجل بذراعيه ، هاتفًا :

ــ فى أىّ مكان يحلو لك .

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى توتر :

ــ المهم ألا يسمعنا أحد .

قال (عصام) فى انفعال :

ــ اطمئن .

وأدار عينيه إلى رئيسه ، وكأنما يستأذنه فى الذهاب ، فأومأ رئيسه برأسه إيجابًا ، وقلب كفه ، قائلًا :

ــ هذا عملك .

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ سأعود فى أسرع وقت ممكن .

تمتم رئيسه بالإنجليزية :

ــ لا عليك .

ـ وهنا التفت (عصام) إلى الرجل ، وقال فى حزم :

ـ هيا .

ولم تمض ربع الساعة ، حتى كان يجلس مع الرجل فى (كازينو) أنيق ، على ضفاف النيل ، ويسأله فى اهتمام :

ـ والآن ، لماذا أردت مقابلتى ؟

غمغم الرجل فى توتر :

ـ إنك تميل إلى حل الألغاز الغامضة ، أليس كذلك ؟

تراجع (عصام) فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ بلى .

تنهد الرجل فى ارتياح ، وقال :

ـ إننى أحمل لك واحدًا إذن .

وفجأة انتزع من داخل سترته مسدسًا ، صوَّبه نحو صدر (عصام) مستطردًا :

ـ ها هو ذا .

* * *

تسمَّر (عصام) فى مكانه لحظة ، وقد أخذته تلك المفاجأة ، وجمَّدت انفعالاته تمامًا ، ثم تحفَّزت عضلات جسده كلها بغتة ، للمقاومة والدفاع ، لولا أن تخلّى الرجل عن

مسدسه ، ووضعه أمام (عصام) فى استسلام ، مردفًا فى مرارة :

ـ لقد قتلت به رجلًا .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يقول مشدوهًا :

ـ قتلت مَنْ ؟!

هتف الرجل فى انهيار :

ـ كان ذلك دفاعًا عن نفسى يا أستاذ (عصام) .. أقسم لك .. إننى لم أكن أحاول قتله .

ربَّت (عصام) على كتف الرجل ، وقد اجتاحه الانفعال بدوره ، وقال :

ـ اهدأ يا رجل .. اهدأ وأخبرنى بما حدث بالتفصيل .

راح جسد الرجل يرتجف من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ لا ريب أنك قد سمعت اسمى من قبل .. أنا (مروان) .. (مروان فريد) .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ (مروان فريد) ؟!.. المليونير المختفى ؟!

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى انفعال :

ـ أين كنت يا رجل ؟.. إن نصف رجال شرطة (مصر) يبحثون عنك .. أين اختفيت ، طيلة الأشهر الثلاثة الماضية ؟

بدا الرجل وكأنه على وشك البكاء ، وهو يقول :

ـــ كان هذا على الرغم منى .

وترقرقت دمعة فى عينيه بالفعل ، وهو يستطرد :

ـــ لقد كشفت أن أحد أقرب أقاربى يسعى لقتلى .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ـــ قتلك ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يتابع :

ـــ أنت تعلم أننى قد فقدت زوجتى منذ عامين ، وأنها قد تركت لى ثروة ضخمة ، تقدَّر بعدة ملايين ، وطفلة واحدة ، فى سن الثانية .. ومنذ وفاتها ، يحوم أقاربها وأقاربى حولى ، طمعًا فى جزء من ثروتها ، التى ورثتها مع ابنتى المسكينة .. ومنذ ثلاثة أشهر ، اختطف بعضهم ابنتى .

جذبت القصة اهتمام (عصام) فى شدة ، فمال إلى الأمام ، يستمع إلى الرجل ، الذى يستطرد فى مرارة :

ـــ ولقد بذلت جهدًا رهيبًا لاستعادتها ، ودفعت فى سبيل ذلك ثلاثة ملايين جنيه دفعة واحدة ، دون أن تعلم الشرطة عن أمر الاختطاف والاستعادة شيئًا .. ولقد أدركت ـــ حينذاك ـــ أن الأمر لن يقف عند هذا الحد ؛ لذا كان من

الضرورى أن أختفى مع ابنتى ، بعيدًا عن أعين الطامعين ، وخلال تلك الأشهر الثلاثة ، حوَّلت كل ما تبقى من ثروتى إلى جنيهات ذهبية ، أخفيتها فى مكان سرى ، يستحيل أن يعثر عليه مخلوق ، ما لم أخبره به .

انتحب فى خفوت ، قبل أن يتابع :

ـــ وفجأة ، كشف أحد أقاربى مخبئى ومخبأ ابنتى ، وكشف عن وجهه القناع ، وراح يهدِّدنى بالقتل ، وبذبح ابنتى ، ما لم أرشده إلى مخبأ الثروة ، فما كان منى إلَّا أن هاجمته فى غمرة يأسى ، واشتبكت معه فى صراع رهيب ، انتهى بأن انتزعت مسدسه من يده ، وأطلقت عليه النار .

وأخفى الرجل وجهه بين كفيه ، هاتفًا فى ألم :

ـــ لقد قتلته .. لقد صرت قاتلًا .

ربَّت (عصام) على كتفه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـــ لقد كان هذا دفاعًا عن النفس .. لن يدينك أحد .

هتف الرجل :

ـــ لم يعد هذا يعنينى .. لقد قتلته فحسب .. ولقد غادرت مخبئى بعدها ، وحملت ابنتى إلى دار شقيقتى الصغرى ، وطلبت منها رعايتها ، ثم أسرعت إليك ، لأخبرك بالأمر كله .

تراجع (عصام) ، وهو يقول فى دهشة :

ـــ لماذا ؟!.. أعنى ما الذى تتوقَّع منى أن أفعله ؟

أمسك الرجل ذراع (عصام) فى انفعال ، وهو يهتف فى ضراعة :

ــ أعلم أنهم سيقتلوننى ، إن آجلا أو عاجلا ، وأنهم سيقدمون على أى شىء يمكن تصوّره ، للحصول على ثروتى ؛ لذا فأنا أرجوك .. أتضرّع إليك أن تعمل على حماية ابنتى ، ورعايتها ، حتى تبلغ السن المناسبة ، وتستعيد ثروتها .

هتف (عصام) :

ــ ولكن لماذا أنا ؟.. ومن الذى يسعى لقتلك ؟

قال (مروان) فى مرارة :

ــ لأنك الرجل الوحيد ، الذى يمكننى أن أثق بنزاهته ، بعد أن فقدت الثقة بأقرب المخلوقات إلىّ فى الوجود .. أتعلم من أراد قتلى .. إنه ..

دوت فجأة رصاصة ، أخرست الرجل ، وبترت الكلمات فى حلقه ، وجعلت عيناه تجحظان فى قوة ، قبل أن يهوى رأسه على المائدة .

وبسرعة استدار (عصام) إلى مصدر الرصاصة ، ورأى القاتل ..

رآه يصوّب مسدسه ، ليطلق رصاصة ثانية ..

وكان هو الهدف هذه المرة ..

* * *

دوت فجأة رصاصة ، أخرست الرجل ، وبترت الكلمات فى حلقه ، وجعلت عيناه تجحظان فى قوة ، قبل أن يهوى رأسه على المائدة ..

٢ ــ الوصية ..

لم يدر (عصام) أبدًا ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، لِمَ أصابه كل هذا الغضب ، لحظة مصرع (مروان) أمامه ، إلى الحد الذى جعله ينسى المسدس المصوَّب إليه ، ويتذكَّر فقط أن الرجل قد هوى ..

لم يدر حتى كيف اندفع نحو القاتل ، متفاديًا تلك الرصاصة القاتلة ، التى أطلقها هذا الأخير نحوه ، والتى سمع أزيزها المخيف ، وهى تعبر إلى جوار أذنه ، قبل أن يقفز درجات السلم القصير لـ (الكازينو) ويتجاوز سوره المنخفض بقفزة واحدة ، ليلحق بالقاتل ، الذى اندفع نحو سيارة تنتظره ، وقفز داخلها ، فانطلقت به على الفور بأقصى سرعة ..

وكان من المستحيل أن يلحق بها (عصام) ، مهما بلغت سرعته ، ومهما بلغ غضبه ، فتوقَّف وهو يلهث فى قوة ، ويهتف فى سخط :

ــ اللعنة !! اللعنة !!

والتقطت عيناه رقم السيارة ، ونوعها ، ولونها ، قبل أن

يستدير ، عائدًا أدراجه إلى حيث سقط (مروان) ، الذى أحاطته دائرة من رواد (الكازينو) ، فى حالة ذعر شديد ، وانحنى نحوه يفحصه فى لهفة ، فسمعه يغمغم فى خفوت ووهن :

ــ لقد قتلنى الوغد .. لقد انتقم منى .

هتف به (عصام) :

ــ يا إلهى !!.. أنت حى .. إنه لم يقتلك إذن .

تمتم (مروان) فى صوت متهالك :

ــ بل فعل .. أنا أشعر بذلك .. إننى ألفظ أنفاسى الأخيرة .

هتف (عصام) فى جزع :

ــ كلَّا يا (مروان) .. اصمت .. لا تنطق بكلمة واحدة .. سأتصل برجال الإسعاف ، وسيحضرون على الفور ، و .....

وعلى الرغم من وهنه الواضح ، أمسك (مروان) كف (عصام) فى قوة ، وهو يقول :

ــ لا .. استمع أنت إلىَّ أوَّلًا .. فما سأخبرك به هو أهم شىء بالنسبة لابنتى .. إنه ثروتها ، ومستقبلها ..

غمغم (عصام) فى إشفاق :

ـ اصمت يا (مروان) ، وستعود إلى ابنتك ، و .....

قاطعته شهقة قوية ، انطلقت من بين شفتى (مروان) ، قبل أن يضغط يده فى قوة رهيبة ، وتجحظ عيناه ، ليهتف فى صوت بدا وكأنه ينتزع حروفه من بين براثن الموت :

ـ المخلب .. المخلب الذهبى ..

ثم خبا بريق عينيه ، وشحب وجهه ، وهوى ..

لفظ أنفاسه الأخيرة ..

لفظها بعد أن ترك لـ (عصام) لغزا غامضا ..

لغز المخلب الذهبى ..

* * *

مطّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يتطلّع إلى جثة (مروان) ، التى يعمل رجال المعمل الجنائى على تصويرها ، وحملها ، وقال :

ـ يا لها من نهاية ، لقصة اختفاء غامضة ، شغلت رجال الأمن لفترة طويلة !

غمغم (عصام) :

ـ لقد كان يختفى بملء إرادته .

تنهّد العقيد (خيرى) ، وعاد يهزّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !!.

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ إذن فهذا ما أخبرك به ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. لقد قصّ علىّ القصة كلها .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى ضيق :

ـ فيما عدا أهم ثلاث نقاط فيها .

تنهّد العقيد (خيرى) مرة أخرى ، وقال :

ـ نعم .. إنه لم يخبرك بمن قتله ، وأين أخفى ثروته ، وما هو ذلك المخلب الذهبى .

قال (عصام) فى ضيق :

ـ نعم .. أخفى عنى أهم ثلاث نقاط .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـ ألا تجد معى أن قصته عجيبة بعض الشىء ؟!

سأله (عصام) فى حيرة :

ـ لماذا ؟

هزّ (خيرى) كتفيه ، وقال :

ـــ هذا يبدو واضحًا ، فلقد تعلّمنا فى كلية الشرطة أن نحكم بغرابة تصرّف ما ، عندما يتنافى مع ما يمكن أن يفعله أى شخص سوىّ ، فى نفس الظروف .

عقد (عصام) حاجبيه ، قائلًا :

ـــ هذا يتوقّف على ماهية تلك الظروف .

سأله (خيرى) فى توتر :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـــ أعنى أنه عندما يتنافى تصرّف ما ، مع التصرّفات المألوفة ، فى موقف محدود ، أو بالنسبة لشخص ذى طبيعة محدودة ، فهذا يعنى أحد أمرين ، إما أن الموقف كان يختلف ، أو أن الظُروف لم تكن طبيعية .

قال (خيرى) فى صرامة :

ـــ أو أن القصة فى مجملها وهمية كاذبة .

أشار (عصام) إلى جثة (مروان) ، التى يحملها رجال الإسعاف إلى سيارتهم ، وقال :

ـــ أظن أن هذا لا ينطبق على حالة هذا الشخص .

هزَّ (خيرى) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ من يدرى ؟

قال (عصام) فى حدة :

ـــ اسمع يا سيادة العقيد .. لقد جابهت عشرات المواقف المشابهة ، ويمكننى أن أجزم بأن ذلك الرجل كان صادقًا ، فى كل كلمة نطق بها ، حتى ولو لم تكن قصته تقليدية أو مألوفة .

أجابه (خيرى) فى حزم :

ـــ اسمع أنت يا (عصام) .. إننى أواجه مثل هذه القضايا ، من قبل أن تلتحق أنت حتى بكلية الإعلام ، ولقد علمتنى تجاربى أن كثيرًا ما يبدو شخص ما صادقًا فى روايته ، على الرغم من أنها ليست كذلك ، ولكنه فى هذه الحالة يكون مؤمنًا بما يرويه تمامًا .

قال (عصام) فى توتر :

ـــ أتعنى أنه يتوهّمه ؟!

أجابه (خيرى) :

ـــ نعم .. أو أنه ينظر إليه من وجهة خاطئة .

زفر (عصام) فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ ربما .

ثم أسرع يستدرك فى عناد .

ـــ ولكننى واثق من أن (مروان) لم يكن واهمًا .

سأله (خيرى) فى غضب :

ــ بأى دليل ؟!

هتف (عصام) :

ــ بدليل أنه قد قُتِل بالفعل .

صاح (خيرى) :

ــ هذا ليس دليلًا .

عقد (عصام) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ــ أنا أراه كذلك .

بدا الغضب على وجه (خيرى) ، وبدا لحظة وكأنه سيأمر رجاله بإلقاء القبض على (عصام) ، أو احتجازه طبقًا لقانون الطوارئ ، إلا أن ملامحه لم تلبث أن لانت ، وحلّ التفكير العميق محل الغضب فى ملامحه ، قبل أن يداعب ذقنه بأصابعه ، مغمغمًا :

ــ لماذا نتشاجر ؟

ارتبك (عصام) ، وقال :

ــ إننى لم أقصد ذلك .. لقد كنتِ أحاول توضيح وجهة نظرى فحسب ، و .....

قاطعه (خيرى) ، وهو يبتسم :

ــ لا بأس .. هناك وسيلة عملية لتوضيح ذلك .

غمغم (عصام) :

ــ ما هى ؟

أجابه (خيرى) :

أن تبدأ تحرياتك ، لتأكيد وجهة نظرك .

عقد (عصام) حاجبيه ، وقال :

ــ نعم .. هذا أفضل ما يمكن عمله .

ثم استطرد فى لهفة :

ــ ألديك عنوان شقيقة (مروان) هذا ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بالطبع .. إنها شقيقته الوحيدة ، ولقد قلبنا الأرض بحثًا عنه ، عندما اختفى ، طيلة الأشهر الثلاثة الماضية .

قال هذا ، وناول (عصام) ورقة مطوية ، التقطها فى لهفة ، وهو يهتف :

ــ شكرًا لك .. سأبدأ تحرياتى على الفور .

واندفع نحو سيارته ، ثم لم يلبث أن توقّف ، قبل أن يبلغها ، ليلتفت إلى العقيد (خيرى) ، ويلوّح بيده ، هاتفًا :

ــ وسأثبت أننى على حق .

ثم قفز داخل سيارته ، وانطلق بها فى حماس ، على حين أطلق العقيد (خيرى) من أعماق صدره زفرة قوية ، وهو يقول :

ـــ حمدًا لله .. لقد تخلّصنا من فضوله ومتاعبه .

ثم تنهّد مرة أخرى ، مستطردًا :

ـــ والآن فلنبدأ العمل الحقيقى .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة واثقة ..

* * *

انطلق (عصام) بسيارته نحو منزل شقيقة (مروان) ، وهو مفعم بمزيج من الحماس والتوتر ، وراح يقول لنفسه فى انفعال :

ـــ ها هى ذى قضية جديدة ، تتحدّى ذكاءك وقدراتك يا (عصام) .. ستثبت للجميع مرة أخرى أنك قادر على التصدى للجريمة وحدك .. لـ (عماد) و (غلا) .. لـ (عادل محمود) .. للعقيد (خيرى) .. للجميع .

بلغ منزل الشقيقة فى هذه اللحظة ، فأوقف سيارته أمامه ، وقفز منها ، مغمغمًا :

ـــ عجبًا !!.. كيف تقيم شقيقه مليونير مثل (مروان فريد) ، فى مثل هذا الحى الشعبى الفقير ؟

لم يلبث أن تجاهل تلك النقطة فى سرعة ، وهو يصعد إلى شقة الشقيقة ، ويضغط زر الجرس فى قوة ، ثم ينتظر فى عصبية ..

ومضت بضع لحظات فحسب ، ثم سمع وقع أقدام تقترب من الباب ، وتتوقّف خلفه ، ثم سمع صوتًا يقول فى حذر :

ـــ من ؟!

أجاب فى انفعال :

ـــ معذرة ياسيّدة (فريدة) .. أنا (عصام كامل) ، الصحفى بقسم الحوادث ، بجريدة الأ .....

قاطعته شهقة أنثوية ، أعقبها صمت رهيب ، جعله يهتف فى قلق :

ـــ سيّدة (فريدة) .. أأنت بخير ؟

مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن تجيب فى توتر :

ـــ نعم .. نعم .. أنا بخير ولكن ..

عادت إلى صمتها مرة أخرى ، فسألها فى قلق :

ـــ ولكن ماذا ؟

أجابت فى تردد :

ـــ اسمع يا أستاذ (عصام) ..إننى أعرف من أنت ، فأنا

أتابع كل تحقيقاتك الصحفية البوليسية ، ولكننى لا أستطيع أن أسمح لك بالدخول .

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ لماذا ؟ لقد أتيت بشأن شقيقك (مروان) .

سمعها تطلق شهقة أخرى قوية ، قبل أن تهتف فى رعب :

ــ (مروان) ؟!.. كيف علمت ؟

قال فى أسف :

ــ إننى أعلم كل شىء يا سيّدتى ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وقد أدهشه الأمر ، وهمّ بسؤالها عن كيف علمت هى بأمر مصرع شقيقها ، إلا أن الباب ، الذى فُتح فى تلك اللحظة ، جعله يلزم الصمت ، وهو يتطلّع إليها فى حيرة ..

كانت نسخة طبق الأصل من شقيقها ..

نسخة أنثوية ..

نفس النحول والشحوب ، والنظرات الزائغة ..

وكانت مثله ، فى أوائل الأربعينيات من عمرها ..

وكانت تتطلّع إليه فى خوف شديد ، جعله يقول فى خفوت :

ــ معذرة يا سيّدتى .. كان لابد أن آتى .

غمغمت فى استسلام :

كانت نسخة طبق الأصل من شقيقها :
نسخة أنثوية .. نفس النحول والشحوب ، والنظرات الزائغة ..

ـ حسنًا .. ادخل .

دلف إلى الشقة فى هدوء ، ثم التفت إليها ، وهى تُغلق الباب ، وغمغم فى أسف :

ـ لست أدرى كيف بلغك الأمر يا سيِّدتى ، ولكننى هنا لأقدِّم تعازىَّ أوَّلًا ، فى مصرع شقيقك ، و .....

حدَّقت فى وجهه ، وهى تقاطعه هاتفة :

ـ مصرعه ؟

ثم انبعث من خلفه صوت يقول فى حدة :

ـ أى هراء هذا ؟

التفت (عصام) إلى مصدر الصوت فى عنف ، واتسعت عيناه فى قوة ، وهو يتراجع بحركة حادة ..

لقد كان صاحب الصوت هو نفسه القتيل ..

ـ كان (مروان فريد) ..

* * *

٣ ـ الميت الحىّ ..

التفّ سكَّان تلك القرية الصغيرة ، على مشارف (القاهرة) ، حول سيارة الشرطة ، التى توقَّفت أمام منزل قديم ، من منازل القرية ، وهبط منها العقيد (خيرى) ..

وبصوت صارم ، ولهجة آمرة ، قال العقيد (خيرى) ، وهو يشير إلى المنزل القديم :

ـ أهذا منزل (فريد عبد الحق) ؟

أجابه أحد سكان القرية :

ـ نعم .. إنه منزله ، ولكنه مهجور ، لم تطأه قدم ، منذ توفى صاحبه ، الأستاذ (فريد) ، منذ عشر سنوات .

سأله العقيد (خيرى) :

ـ ألم يقم فيه أحد ، منذ ذلك الحين ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .. لقد توفيت زوجة الأستاذ (فريد) (رحمه الله) ، ولا بد أنك تعلم ، بعد مولد ابنتها ، وتركت الأبناء الثلاثة فى رعاية والدهم ، الذى لم يدخر جهدًا ولا وقتًا ، لمنحهم كل ما يحتاجون إليه ، و .....

قاطعه العقيد (خيرى) :

ـــ تقول ثلاثة ؟!.. عجبًا !!.. إن معلوماتنا تؤكّد أن (فريد) لم يكن له سوى ولدين .. ابن وابنة .. (مندور) و (فريدة) فقط .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا فى أسف ، وقال :

ـــ هذا صحيح ، فلقد توفى الطفل الثالث بمرض قاتل ، وهو بعد فى السابعة عشرة من عمره ، وبعدها حمل الأستاذ (فريد) ابنيه : (مندور) و (فريدة) إلى (القاهرة) ، حيث لم نرهما منذ ذلك الحين ، أما هو ، فقد ظلّ يتردّد على منزله هنا ، حتى وافته المنية ، منذ عشر سنوات .

تنهّد العقيد (خيرى) ، وقال :

ـــ حسنًا .. هذا يكفى .

ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـــ ومن المؤسف أننا لم نعلم بوجود هذا المنزل سوى أمس .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، قائلًا :

ـــ افتح الباب .

أسرع الرجل يفتح باب المنزل ، على حين التفت العقيد (خيرى) إلى رجل القرية ، قائلًا بلهجة آمرة :

ـــ مر الجميع بالابتعاد عن هنا ، واذهب إلى عمدة القرية ، واطلب منه أن يأتى على الفور .

ابتعد رجل القرية ، ودلف العقيد (خيرى) إلى المنزل ، الذى بدا مهملًا إلى حد كبير ، حتى أن خيوط العنكبوت قد غطت جدرانه وسقفه تقريبًا ، وكادت تُغلق مداخله أيضًا ، مع أكوام من الأتربة ، جعلت العقيد (خيرى) يغمغم :

ـــ من الواضح أننا لن نجد شيئًا هنا .

توقّف أمام حائط حجرة الانتظار فى المنزل ، حيث اصطفت عدة صور ، إحداها لـ (فريد عبد الحق) ، والأخرى لسيّدة شابة ، من الواضح أنها زوجته الراحلة ، ثم صورتان مختلفتان لـ (مندور) ، تتوسّطهما صورة لـ (فريدة) فى شبابهما ..

وبينما كان العقيد (خيرى) يتأمّل فى الصور ، هرع إليه العمدة ، وهو يهتف :

ـــ مرحبًا يا سيادة العقيد .. مرحبًا .. أما كان ينبغى أن تشرّفنى بالزيارة أوّلًا ؟

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ ليس هذا وقت المجاملات أيها العمدة .. أخبرنى .. هل تعلم شيئًا عن أصحاب هذا المنزل ؟

تردَّد العمدة لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـــ أهناك ما يستوجب جمع التحريات عنهم يا سيِّدى ؟

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـــ أجب فحسب .

قال العمدة فى سرعة :

ـــ نعم يا سيادة العقيد .. أنا أعلم عنهم كل شىء .

ثم اندفع يروى القصة ذاتها ، التى رواها رجل القرية ، فلما انتهى منها ، سأله العقيد (خيرى) فى حزم :

ـــ وما هو ذلك المرض القاتل ، الذى لقى الابن الثالث للأسرة مصرعه بسببه ؟

تردَّد العمدة لحظات ، ثم قال :

ـــ إننى لست طبيبًا فى الواقع يا سيادة العقيد ، ولكن ..

قاطعه العقيد (خيرى) فى حزم :

ـــ حسنًا ، ما الذى ردَّدته الشائعات فى تلك الآونة ؟

تردَّد العمدة مرة أخرى ، ثم أطرق برأسه مغمغمًا :

ـــ لقد قالوا إنه قد لقى مصرعه بسبب الـ ..

بتر عبارته لحظة ، ثم أكملها بكلمة واحدة مقتضبة ، بدت كالقنبلة ، وهو يستطرد :

ـــ الجنون !!

* * *

وقف (عصام) ذاهلًا ، يحدِّق فى وجه (مروان) ، بنحوله وشحوبه ، ونظراته الحادة ، قبل أن يهتف هذا الأخير فى حدة :

ـــ حسنًا .. ماذا هناك ؟ .. لقد عثرت علىَّ ، ولست أدرى كيف !!.. على الرغم من أن جهاز الشرطة كله قد عجز عن ذلك ، ولكنه من الجنون والحماقة أن تدعى مصرعى ، وأنا أقف أمامك حيًّا الآن .

لم ينجح (عصام) فى التفوه بحرف واحد لحظات ، ثم لم يلبث أن هتف ذاهلًا :

ـــ ولكن هذا مستحيل !

صاح (مندور) فى عصبية :

ـــ أى مستحيل فى هذا ؟!.. أتظننى شبحًا ؟!

هزَّ (عصام) رأسه فى بطء ، وهو يغمغم :

ـــ كلَّا .. لست أظنك كذلك .

وألقى نفسه فوق مقعد قريب ، وقد بدا له أن قدميه تعجزان عن حمله ، وهو يستطرد .

ـــ ولكننى رأيتك تلقى مصرعك أمامى ، منذ ساعة واحدة .

تبادل (مروان) وشقيقته نظرة دهشة ، قبل أن يهتف الأوّل :

ــ أأنت (عصام كامل) حقًا ، أم أنك مجرّد رجل مجنون ؟

زفر (عصام) فى قوة ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .. صدقنى .. لم أعد أدرى .

عقد (مروان) حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى (عصام) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن تراجع فى حذر ، وهو يهتف :

ــ اطلبى رجال الشرطة .. هذا الشاب ليس (عصام كامل) .. إنه محتال أو مجنون .

لوّح (عصام) بكفه ، قائلًا :

ــ لست هذا أو ذاك ياسيّد (مروان) ، ويا سيّدة (فريدة) ، إننى (عصام كامل) حقًا .

تطلّع إليه الاثنان فى شك ، فناولهما بطاقته الصحفية ، مستطردًا :

ــ أيكفى هذا لإثبات الأمر ؟

تطلّعا إلى البطاقة فى اهتمام ، ثم غمغم (مروان) فى حيرة :

ــ إنك (عصام كامل) حقًا !!.. ولكن ما معنى ذلك الهراء ، الذى تنطق به منذ وصولك ؟

تنهّد (عصام) ، وقال :

ــ إنه يعنى وجود لغز غامض ، يحتاج إلى تفسير مقنع .

تبادلا نظرة حائرة مرة أخرى ، فاستطرد (عصام) :

ــ حسنًا .. سأقص عليكما ما حدث .

راح يقص عليهما كل ما حدث ، منذ زاره ذلك الرجل فى مكتبه ، هذا الصباح ، وحتى وصل إليهما ، ثم قلب كفيه ، متابعًا فى حيرة شديدة :

ــ والأمر يبدو لى الآن أشد غموضًا .

جلس (مروان) على المقعد المقابل له ، وهو يقول فى انبهار :

ــ بل هو مذهل بحق .

ومال نحوه ، مستطردًا .

ــ أهو يشبهنى حقًا إلى هذا الحد ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إلى حد مذهل .

ثم تذكّر فجأة نقطة لم يقصها عليهما ، فتابع فى لهفة :

ــ آه .. كدت أنسى .. قبل أن يلقى الرجل مصرعه ، نطق بكلمة لم أفهم معناها .. لقد قال ..

بتر عبارته بغتة ..
بترها دون أن يدرك سبب فعلته ..
شيء ما فى أعماقه دفعه إلى كتمان الأمر ..
شيء لم يدر كنهه ، ولكنه أطاعه ..
وبسرعة ، استطرد :
ـــ قال إنه قد ترك ابنته هنا .
قالت (فريدة) :
ـــ أتقصد (حنان)؟.. إنها هنا ، ولكنها نائمة .
ثم نهضت مستطردة :
ـــ تعال .. سأريك إياها .
تبعها (عصام) فى اهتمام ، ودخل خلفها إلى حجرة نوم صغيرة ، حيث أشارت هى إلى طفلة صغيرة ، ترقد نائمة فى سلام كالملائكة ، وقالت :
ـــ ها هى ذى .
ولكن (عصام) لم يسمعها ..
كان انتباهه كله مركزًا على تلك القلادة ، التى تتحلّى بها الصغيرة ..
لقد كانت القلادة عبارة عن مخلب ..
مخلب ذهبى ..

* * *

كان انتباهه كله مركزًا على تلك القلادة ، التى تتحلّى بها الصغيرة .. لقد كانت القلادة عبارة عن مخلب .. مخلب ذهبى ..

٤ــ التحقيق ..

« مستحيل !!.. »

هتف بها العقيد (خيرى) فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه (مروان) ، الذى اصطحبه (عصام) إلى مكتبه ، قبل أن يستطرد مشدوهًا :

ــ ولكن كيف ؟!.. لقد رأيته بنفسى قتيلًا ، و .....

بتر عبارته بغتة ، ثم هزّ رأسه فى قوة ، قائلًا فى حزم :

ــ ولكن كلّا .. هناك شىء غامض فى كل هذا .

ثم مال نحو (مروان) ، مستطردًا فى حدة :

ــ قل لى يا رجل .. لو أنك أنت (مروان فريد) ، فمن هو ذلك القتيل إذن ؟

عقد (مروان) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ وما شأنى أنا ؟ إنها مهمتكم أنتم ، أن تثبتوا ذلك .

هتف (خيرى) محنقًا :

ــ ما الذى نثبته ؟

صاح (مروان) فى وجهه :

ــ أن هذا الرجل ليس أنا .

وعقدت (فريدة) حاجبيها بدورها ، وهى تقول :

ــ اسمع يا سيادة العقيد .. لست أدرى شيئًا عما تقولون من عبث ، إلا أن الشىء الوحيد ، الذى يمكننى تأكيده ، هو أن هذا الرجل ، الواقف أمامك الآن ، هو شقيقى .

ران الصمت لحظات بعد عبارتها ، ثم مال (خيرى) على مكتبه ، قائلًا :

ــ حسنًا .. قل لى إذن يا أستاذ (مروان) : ما سر اختفائك ، طيلة الأشهر الثلاثة الماضية ؟

أجابه (مروان) فى عصبية :

ــ هذا شأنى .

ضرب (خيرى) سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو يقول :

ــ كلّا .. هذا ليس شأنك وحدك .

ثم لوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ــ لقد شغلت دوائر الشرطة كلها ، لثلاثة أشهر كاملة .

صاح (مروان) فى غضب :

ــ ومن قال لكم أن تفعلوا ذلك ؟

هتف به (خيرى) فى حدة :

ـ لقد تلقينا خطابًا من مجهول ، يقول فيه إنك قد ..

قاطعه (مروان) فى سخرية حادة :

ـ يمكنك أن تعاقب ذلك المجهول إذن .

تبادلا نظرات تحد عنيفة ، قبل أن يتدخل (عصام) ، قائلًا :

ـ مهلًا .. إن مشكلتنا الآن ليست هى أن (مروان فريد) قد اختفى لبعض الوقت .. إنها مشكلة وجود قتيل لدينا ، ادعى قبيل مصرعه أنه (مروان فريد) ؛ ولابد لنا من أن نثبت هويته ، أو نتعرّفها على الأقل ، قبل أن نُقدم على أية خطوة تالية .

ظلّ وجه العقيد (خيرى) صارمًا غاضبًا بعض الوقت ، ثم قال فى حزم :

ـ أنت على حق .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، وقال فى صرامة :

ـ أعد سيارة من سياراتنا يا (سمير) فستصحب (عصام) مع رجل وسيدة ، إلى الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى ، وسيكون على الثلاثة أن يدلوا بأقوالهم فى شأن تلك الجثة ..

وأنهى المحادثة ، ثم رفع عينيه إلى (مروان) و (فريدة) ، مستطردًا فى حزم :

ـ والآن أصبحتما داخل اللعبة .. وأراهن أنكما لن تشعرا بالسرور لذلك .. لن تشعرا به قط ..

* * *

انهمك الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى الشاب ، فى فحص مسدس كبير ، ورفع البصمات من على مقبضه فى حرص ، واستغرقه ذلك تمامًا ، حتى أنه جفل على نحو واضح ، عندما ارتفع صوت (عصام) ، يقول :

صباح الخير .

انتفض الدكتور (على) ، وأفلت المسدس من يده ، فسقط على مكتبه ، وارتطم بزجاجه فى شدة ، فأسرع (على) يلتقطه ، وهو يرفع عينيه إلى (عصام) ، هاتفًا :

ـ تبًا لك يا (عصام) !.. ألن تكُفّ أبدًا عن .. ؟

بتر عبارته بغتة ، وتراجع بمقعده فى حدة كالملسوع ، وجحظت عيناه فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه (مروان) ، الذى هتف فى غضب :

ـ حسنًا .. ماذا هناك ؟!.. لماذا تحدّق فى وجهى هكذا ، كما لو أنك قد رأيت شبحًا ؟

ازدرد (على) لعابه فى صعوبة بالغة ، وهو يقول فى صوت متحشرج ، وبحروف ترتجف رعبًا :

ــ ولماذا تستخدم كلمة لو ؟!.. إننى أراه أمامى بالفعل .. ألم أنته من تشريح جثتك منذ لحظات ؟

صاح (مروان) فى غضب :

ــ اللعنة !!. إلى متى سأظلّ أؤكّد أنه ليس أنا ؟

غمغم (على) فى ارتياع :

ــ ليس أنت ؟!

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إنه ليس هو بالفعل يا دكتور (على) ، فهذا الذى تراه أمامك هو (مروان) الحقيقى .

ردّد (على) فى ذهول :

ــ الحقيقى ؟!

ثم اعتدل ، وعدّل من هندام معطفه الأبيض ، وتنحنح بصوت مرتفع ، قبل أن يقول فى توتر :

ــ بالطبع .. الجثث لا تعود أبدًا إلى الحياة ، وخاصة بعد تشريحها ..

قال (عصام) فى هدوء :

ــ هل يمكننا رؤية الجثة يا دكتور (على) ؟

ازدرد (على) لعابه مرة أخرى ، وقال دون أن تفارق عيناه وجه (مروان) :

ــ بالطبع .

وقادهم عبر ممر المشرحة الطويل ، إلى حجرة باردة ، توسطتها منضدة رخامية ، استقرّ فوقها جسد مغطى بملاءة زرقاء ، فراحت (فريدة) ترتجف ، وهى تهتف فى ارتياع :

ــ لن أستطيع .. لن أستطيع المضى فى هذا الأمر .

أمسك (مروان) كتفها فى حزم ، وهو يقول :

ــ احتملى .. ما هى إلا لحظات وينتهى كل شىء .

انتفضت فى قوة ، واتسعت عيناها ذعرًا ، وهى تهتف :

ــ مستحيل .. لن أستطيع .. لن أستطيع أبدًا .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى كشف الدكتور (على) وجه الجثة ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى .

واتسعت عيون الجميع ، حتى من كانوا يتوقعون ما رأوه ، مثل (عصام) ، والرائد (سمير) ، و (فريدة) ..

(مروان) وحده اكتفى بأن عقد حاجبيه ، وهو يحدّق فى وجه الجثة ، قبل أن يغمغم :

ـ يا إلهى !!

أما (فريدة) ، فقد حدَّقت فى وجه الجثة فى رعب ، ثم صرخت :

ـ (مروان) ؟!

وهوت بين ذراعى شقيقها فاقدة الوعى ..

كان التطابق مذهلًا بالفعل ..

كان الميت والحى صورة طبق الأصل من بعضهما ، فيما عدا أن القتيل كان أكثر شحوبًا ..

وهتف الدكتور (على) فى جزع :

ـ لقد فقدت السيِّدة وعيها .

وأسرع يعاون شقيقها على حملها إلى الخارج ، حيث أرقداها فوق أريكة وثيرة ، وراح الدكتور (علّى) يعمل على إسعافها ، وهو يغمغم :

ـ كثيرًا ما يحدث هذا .. كثيرًا ما تفقد النساء وعيهن هنا .

تمتم (مروان) :

ـ إن ما رأته يستحق ذلك بالفعل يا سيِّدى ، فهذا القتيل يبدو كما لو أنه صورة مرآة لى .

اختلس (على) نظرة سريعة لوجهه ، ثم غمغم :

ـ أنت على حق .

قال (عصام) ، وهو يتأمَّل الموقف فى اهتمام :

ـ ألم تر هذا الشخص من قبل ؟

عقد (مروان) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إننى أراه كل يوم تقريبًا .

تطلَّع إليه الجميع فى دهشة ، فأردف فى عصبية :

ـ أراه فى المرآة .. أليس هذا هو وجهى ذاته ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ اسمع يا أستاذ (مروان) ، لست أميل لمثل هذا النوع من المزاح .

هتف (مروان) فى حدة :

ـ ولا أنا .

أفاقت (فريدة) فى تلك اللحظة ، وصرخت فى ارتياع :

ـ (مروان) .. (مروان) .. لقد قُتِل .. لقد قُتِل !!

صاح بها (مروان) فى صرامة :

ـ لم يمت يا (فريدة) .. أنا هنا .

التفتت إليه فى ارتياع ، وصرخت :

ـ ابتعد .. ابتعد عنى .. ابتعد .

أمسك يدها فى قوة ، وهو يهتف فى حزم :

ــ ماذا أصابك ؟!.. أنسيت أننى شقيقك ؟

حدّقت فى وجهه بارتياع ، ثم انهارت باكية ، وراحت تهتف :

ــ رحماك .. رحماك يا إلٰهى !

ربّت (مروان) على ظهرها فى حنان ، ثم رفع عينيه إلى الباقين ، قائلًا فى حدة :

ــ والآن هل تسمحون لنا بالانصراف ؟.. إنها ستصاب بانهيار عصبى .

أومأ (سمير) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ لا بأس يا سيِّد (مروان) ، يمكنكما أن تنصرفا .

عاون (مروان) شقيقته على النهوض ، فأسرع (عصام) يقول :

ــ سأوصلكما .

تردَّد (مروان) لحظة ، ثم غمغم :

ــ لا بأس ، ولكن هيا .

تعاون معه (عصام) على مساندة (فريدة) ، حتى وصل بها إلى سيارته ، فأركبها فى المقعد الخلفى ، وركب مع

(مروان) فى المقعدين الأماميين ، وانطلق بسيارته ، دون أن يتبادل معهما كلمة واحدة ، حتى بلغ منزل (فريدة) ، فى ذلك الحى الشعبى ، وقال وهو يوقف سيارته أمامه :

ــ هل ستبقى هنا طويلًا يا سيِّد (مروان) ؟

أجابه (مروان) فى اقتضاب :

ــ كلَّا .

ثم غادر السيارة مع شقيقته ، التى بدت على مشارف انهيار ، مما أثار شفقة عصام ، فكتم كل أسئلته فى صدره ، وهو يقول :

ــ سأطمئن عليكما فى الصباح .

تمتم (مروان) :

ــ شكرًا لك .

تابعهما (عصام) ببصره فى إشفاق ، ثم عاد يدير محرِّك سيارته ، وقبل أن ينطلق بها ، لمح ذلك المشهد فى مرآتها ..

لقد كان هناك رجل يتسلَّل إلى المنزل ، حاملًا مسدسه .

وكان هو نفس الرجل ..

نفس قاتل شيه (مروان) ..

* * *

لقد كان هناك رجل يتسلّل إلى المنزل ، حاملاً مسدسه .
وكان هو نفس الرجل .. نفس قاتل شبيه (مروان) ...

٥ ــ المجرم ..

بذل (عصام) جهدًا حقيقيًّا ؛ ليسيطر على أعصابه ، حتى لا ينتبه ذلك القاتل إلى أنه قد لمحه ..

بل إنه قد تمادى ، فانطلق بسيارته بالفعل ، ليبدو وكأنه قد انصرف ، ثم انحرف فى أوّل شارع جانبى ، وأوقف السيارة ، وغادرها فى سرعة ، وعاد أدراجه على أطراف أصابعه ..

وفى مدخل المنزل ، لمح ذلك القاتل ، وهو يتسلّل صاعدًا فى حذر ، دون أن يتخلى عن مسدسه ..

وفى حذر مماثل ، ودون أن يصدر عنه أدنى صوت ، تبعه (عصام) عبر درجات السلم ، و ..

وفجأة انقضّ عليه ..

وكانت انقضاضة غاضبة بحق ..

انقضاضة مباغتة ، أفقدت المجرم توازنه ، ودفعته ليرتطم بجدار المنزل ، ثم يسقط فوق درجات السلم ..

ولكنه لم يفقد مسدسه ..

لقد تشبَّث به فى قوة ، على الرغم من المفاجأة ، ولم يكد جسده يستقر ، على الرغم من كل ما أصابه من كدمات ورضوض ، حتى رفع فوهة المسدس نحو (عصام) ، وهو يهتف فى غضب :

ــ أنت أردت ذلك .

وأطلق النار ..

* * *

نهض الدكتور (فتحى) ، مدير مستشفى الأمراض النفسية والعقلية ، يستقبل العقيد (خيرى) ، ويصافحه مبتسمًا ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك يا (خيرى) .. يا إلهى !!.. كم مضى من وقت ، منذ التقينا آخر مرة ؟.. خمس سنوات ؟.. ست سنوات ؟

ابتسم (خيرى) ، وهو يصافحه ، قائلًا :

ــ إنها خمس سنوات وثلاثة أشهر ونصف الشهر .

ثم جلس مستطردًا :

ــ كان ذلك فى قضية (عويس) ، الذى قتل شقيقه ووالده ، من أجل أن يرث نقودهما ، ثم ادعى بعد ذلك أنه مجنون ، حينما كشفت أمره بعد يوم واحد من التحقيقات .

ضحك الدكتور (فتحى) ، وهو يقول :

ــ لقد كنت رائعًا حقًا حينذاك يا (خيرى) .

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطردًا :

ــ ولقد فهمتك جيدًا ، منذ ذلك الحين ، حتى أننى مستعد الآن للمراهنة بحياتى ، على أن زيارتك هذه تحمل بالضرورة هدفًا رسميًا .

ابتسم (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ تربح .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ إننى أبحث عن سجل قديم ، يبلغ عمره ربع القرن تقريبًا .

أطلق الدكتور (فتحى) من بين شفتيه صفيرًا طويلًا ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ــ ربع القرن ؟!.. يا إلهى !!.. أتتابع جريمة حدثت منذ ذلك الحين ؟

قال (خيرى) فى غموض :

ــ يمكنك أن تقول ذلك .

ثم استطرد فى هدوء :

ـ إننى أبحث عن سجل شاب ، أصابه نوع من الجنون ، منذ ما يقرب من ربع قرن .

سأله الدكتور (فتحى) فى اهتمام :

ـ ألديك البيانات اللازمة ؟

أومأ (خيرى) برأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ كلها .

وناوله ورقة مطوية ، التقطها (فتحى) فى اهتمام ، وتناول منظاره ، ليضعه أمام عينيه ، ثم فضّ الورقة ، وراح يقرؤها فى اهتمام ، ثم هزّ رأسه وقال :

ـ هذا يجعل الأمر أقل صعوبة .

ثم نهض مستطردًا بابتسامة :

ـ ألديك موعد ما ؟

هزّ (خيرى) رأسه ، قائلًا :

ـ لا عليك .. سأنتظر .

وابتسم ابتسامة هادئة ، قبل أن يستطرد :

ـ سأنتظر مهما كان الثمن ، فهذا الأمر يهمنى .. يهمنى جدًّا .

* * *

انطلقت رصاصة القاتل نحو (عصام) ، ولكنه مال بجسده كله جانبًا ، ثم قفز قفزة عنيفة ، جعلته يبلغ المجرم ، ويركل مسدسه جانبًا ، ثم يهوى على فكه بلكمة هائلة ، وهو يهتف :

ـ أنت أيضًا تستحق ذلك .

سقط المجرم أرضًا ، ثم عاد يقفز واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى غضب :

ـ لا يحق للمرفهين من أمثالك أن يقاتلوا .

وبحركة عنيفة ، استلّ من جيبه مدية حادة ، وهو يستطرد :

ـ لذا فهم يدفعون ثمنًا قاسيًا ، عندما يفعلون .

قال هذا ودفع مديته فى وجه (عصام) ، الذى أمال رأسه ليتفاداها ، وهو يقول فى غضب :

ـ لا عجب فيما تفعل ، فأنت قاتل .

صرخ الرجل :

ـ صدقت .

ثم اندفع نحو (عصام) ، ودفع مديته فى صدره .

وفى هذه المرة تحرّك (عصام) فى سرعة ، فمال جانبًا ، وترك المدية تتجاوزه ، وترك المجرم يفقد توازنه ، ثم ثنى ذراعه ، ورفع مرفقه ، ثم هوى به على مؤخرة عنق المجرم ..

واندفع المجرم إلى الأمام ، إثر الضربة ، وارتطم بحاجز السلم ، و .....

وهوى ..

سقط وهو يُطلق صرخة هائلة ، جمعت ما بين الرعب والألم ، قبل أن يرتطم بالأرض بصوت عنيف ..

والتصق (عصام) بالحائط ، وهو يلهث فى توتر ، فى حين اندفع كل سكّان البناية تقريبًا خارج شققهم ، وصرخت النسوة ، وشهق الرجال ، وسمع (عصام) أحدهم يصرخ :

ــ أمسكو القاتل .. ها هو ذا .. أمسكوه .

اندفع بعضهم نحو (عصام) ، وكادوا يفتكون به ، لولا أن هتفت (فريدة) فى ذعر :

ــ كفوا .. إنه الأستاذ (عصام) .. صحفى قسم الحوادث .

لحظتها فقط أدرك (عصام) كيف أن للشهرة بريقها وسحرها ، و .....

وفائدتها ..

إن (فريدة) لم تكد تنطق باسمه ، حتى ساد الصمت والوجوم بغتة ، ثم راح الجميع يحدّقون فى وجه (عصام) فى دهشة ، قبل أن تسرى بينهم همهمة عالية ، ويهتف أحدهم :

ــ إذن فذلك الذى سقط هو المجرم .

هتف (عصام) :

ــ هذا صحيح .. فليبلغ أحدكم الشرطة فى سرعة ، ورجال الإسعاف ، لو أن هذا الوغد ما يزال على قيد الحياة .

أسرع الجميع يلبون طلباته ، كما لو كان قائدًا فى معركة حاسمة ، يلعبون هم فيها دور الجنود ، فى حين هتفت (فريدة) فى ارتياع :

ــ أستاذ (عصام) !!.. ماذا حدث ؟ .. ماذا ؟

أجابها (عصام) ، وهو يدلف إلى الشقة ، ويُغلق بابها خلفه :

ــ لقد حاول أحدهم قتلى .

هتفت فى دهشة :

ــ قتلك ؟!

أومأ برأسه ، قائلًا :

ــ لم يكن يستهدفنى أنا فى الواقع ، وإنما كان يتبعك أنت والسيّد (مروان) .. ولقد هاجمته أنا ، فما كان منه إلا أن حاول قتلى .

ارتفع فجأة صوت (مروان) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولماذا يحاول قتلنا ؟

التفت إليه (عصام) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ، ولكنه نفس الرجل ، الذى قتل شبيهك ، وربما فعل وهو يظنه أنت .

شحب وجه (مروان) ، وهو يغمغم :

ـ نفس الرجل .

هتف (عصام) :

ـ هل تعرفه ؟

صاح (مروان) فى عصبية :

ـ ما الذى يدفعك إلى مثل هذا الاعتقاد ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ مجرَّد خاطر .

جذب انتباهه وجود محقن وقنينة صغيرة ، فوق المائدة المجاورة ، فالتفت إليهما ، وهو يقول :

ـ ما هذا ؟

امتقع وجه (فريدة) ، وهى تقول :

ـ مجرَّد دواء .

تلفَّت حوله بغتة ، ثم سأل :

ـ أين (حنان) إذن ؟

عقد (مروان) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ما شأنك أنت ؟

ابتسم (عصام) ، قائلًا :

ـ أريد أن أطمئن عليها فحسب .

تبادل (مروان) نظرة متوترة مع (فريدة) ، ثم أجاب فى عصبية :

ـ ولكنها نائمة .

رفع (عصام) رأسه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. ألا تستيقظ (حنان) أبدًا ؟

قالت (فريدة) فى توتر :

ـ إنها تستيقظ بالطبع ، ولكن يتصادف أنك تأتى فى تلك الأوقات ، التى تكون فيها نائمة .

هتف (عصام) فى دهشة ساخرة :

ـ حقًّا ؟

ثم مدّ أصابعه فى رشاقة ، والتقط القنينة ، مستطردًا :

ـ أيعنى هذا أننى لو قمت بتحليل المادة ، التى تحويها القنينة ..؟

ثم مد أصابعه فى رشاقة ، والتقط القنينة ، مستطردًا :

ـــ أيعنى هذا أننى لو قمت بتحليل المادة ، التى تحويها القنينة ...؟

قاطعته (فريدة) فى خوف :

ـــ وما شأنك بتحليلها ؟.. ليس لك أدنى حق فى ذلك .

ألقى (عصام) القنينة فى جيبه ، وهو يقول :

ـــ بالطبع ، ولكننى سأخالف قواعد اللياقة والذوق والقانون ، وأسرق تلك القنينة قسرًا ، وأبلغ الشرطة بضرورة تحليل دم الصغيرة ، و .....

فوجئ بـ (مروان) يمسك ذراعه فى قوة ، قائلًا فى حدة :

ـــ لا داعى .

ثم أردف فى حزن :

ـــ هذه القنينة تحوى مادة (السيارين)، وهى مادة منوِّمة .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ لقد توقَّعت ذلك .. إنكم تحقنون الصغيرة به .

تنهَّد (مروان) ، وقال :

ـــ ولكن الأمر ليس كما تتصوَّر .. الواقع هو أننا نفعل خوفًا عليها ، فـ (حنان) ليست طبيعية .. إنها ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

ـــ إنها مجنونة .

* * *

٦ ــ الجنون ..

« ها هو ذا .. » .

قالها الدكتور (فتحى) فى ظفر وارتياح ، وهو يلتقط ذلك الملف القديم المتهالك ، من وسط ملفات الأرشيف ، التى غطتها طبقة كثيفة من الأتربة ، ثم ينفض عنه تلك الأتربة ، ويستطرد :

ــ لم أتوقَّع أبدًا أن نعثر عليه .

تمتم (خيرى) ، وهو يتابع الملف فى لهفة :

ــ ولا أنا .

فتح الدكتور (فتحى) الملف ، وقرأ فى اهتمام :

ــ الاسم : (ماجد فريد عبد الحق) ، السن : سبعة عشر عامًا ... الحالة :

قالها وصمت ، وراح يتابع القراءة بلا كلمات ، وقد بدا الاهتمام الشديد على وجهه ، مما حدا بالعقيد (خيرى) إلى أن يسأله فى توتر :

ــ ماذا هناك ؟

رفع الدكتور (فتحى) عينيه إليه ، وقال :

ــ يبدو أن الأمر بالغ الخطورة بالفعل يا (خيرى) .. لقد كان ذلك الشاب مصابًا بنوع بالغ الخطورة ، من الجنون الوراثى .. وهذا النوع يجعل صاحبه شديد الأنانية ، مصابًا بنوع من عقدة الاضطهاد ، مع بعض الوسواس القهرى ، مما قد يدفعه إلى قتل أى مخلوق ، يتصوَّر أنه يمثِّل خطرًا على حياته ..

رفع (خيرى) حاجبيه ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !!.. أتعنى ..؟

قاطعه الدكتور (فتحى) فى قلق :

ــ أعنى أن المصاب بهذا المرض يصبح أشبه بنمر ثائر جريح ، إذا ماتُرك حرًّا ، وسُمِحَ له بالاختلاط بالآخرين ، دون رقابة حازمة صارمة .

تطلَّع إليه (خيرى) فى ارتياع ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. من حسن الحظ أن هذا الشاب قد لقى مصرعه ، قبل أن ينشر الموت فيما حوله ، ومن حوله .

حدَّق الدكتور (فتحى) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف :

ــ لقى مصرعه ؟!.. من قال هذا ؟

هتف (خيرى) فى ارتياع :

ــ ماذا ؟!.. ألم يمت ؟

ضرب الدكتور (فتحى) الملف بظهر كفه ، وهو يهتف :

ــ كلّا بالطبع .. هذه الأوراق لا تقول ذلك .. إنها على العكس ، تؤكّد أنه قد بقى على قيد الحياة .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ حتى هرب من المستشفى على الأقل .

اتسعت عينا (خيرى) ، وهتف :

هرب ؟!

ثم استطرد فى جزع :

ــ إذن فنحن نطارد مجنونًا .. نطارد قاتلًا يهوى إراقة الدماء .

وشحب وجهه ، وهو يردف :

ــ وإنها لملحمة حقيقية .. ملحمة جنون ..

* * *

حزن عميق ، ذلك الذى تسلّل إلى قلب (عصام) ، عندما علم بأمر جنون الطفلة المسكينة ..

مرارة رهيبة ! ، تلك التى ملأت حلقه حينذاك ..

وصمت ثقيل ، ذلك الذى ساد المكان ، بعد عبارة (مروان) ..

ثم فى بطء وخفوت ، قطع صوت (عصام) حاجز الصمت ، وهو يغمغم فى إشفاق :

ــ أهو جنون ورائى ؟

أومأ (مروان) برأسه إيجابًا ، وألقى نفسه فوق أقرب مقعد إليه ، فى يأس ، وهو يقول :

ــ نعم .. للأسف .. لقد لقيت أمى به مصرعها ، ودخل شقيقى (ماجد) مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية .. إنه اللعنة التى تطارد أسرتنا ، والتى أورثتنا إياها عائلة أمى .. أتدرى لماذا بقيت (فريدة) حتى الآن دون زواج ؟!.. لأنها تخشى أن تتزوّج فتنجب أطفالًا أصابتهم نفس اللعنة .. إننى أقضى أيامًا أبكى ، وأنا أتصوّر ابنتى الصغيرة المسكينة ، وقد أصابها جنون عُضَال ، جعلها تخطّط وتهاجم الجميع .. إنها مأساة يا أستاذ (عصام) ــ مأساة ورثناها على الرغم منا .

وأخفى وجهه بين كفيه لحظات ، ثم استطرد فى مرارة :

ــ تصوّر .. إن ابنتى لا تتعرّفنى أحيانًا .. إنها تتهمنى بأننى لست والدها ..

أيمكنك أن تتصوَّر ذلك ؟!

غمغم مشفقًا :

ــ من يدرى ؟.. ربما كان هناك علاج فعَّال ، أو .....

قاطعته (فريدة) فى أسى :

ــ خطأ يا أستاذ (عصام) .. لقد تشبث والدنا (رحمه الله) بذلك الأمل ، فأرسل شقيقنا إلى المستشفى للعلاج ، ولكن حالة المسكين ازدادت سوءًا ، حتى لقى مصرعه هناك .

وهنا ارتفع صوت مباغت ، يقول فى صرامة :

ــ أنت صاحبة الخطأ يا سيِّدتى ، فشقيقك لم يمت هناك .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وهتف (عصام) :

ــ (خيرى) ؟!.. كيف دخلت إلى هنا ، دون أن نشعر بك .

أجابه (خيرى) فى صرامة :

ــ لنا أساليبنا يا (عصام) .

حدَّق (مروان) فى وجه (خيرى) لحظات ، قبل أن يهتف منفعلًا :

دعك من ذلك يا سيادة المقدَّم ، وأخبرنى أوَّلًا .. ما معنى عبارتك هذه ؟

أجابه (خيرى) فى صوت حاد :

ــ معناها أن شقيقك لم يمت فى المستشفى يا سيِّد (مروان) ، بل مات فى (كازينو) على النيل ، منذ أربع وعشرين ساعة فحسب .

انفجرت (فريدة) باكية فجأة ، كما لو أنها لم تعد تحتمل الإنكار ، مما بدا بمثابة اعتراف بصحة ماذكره العقيد (خيرى) ، فى حين اتسعت عينا (مروان) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وراح (عصام) ينقل بصره فى دهشة ، بين وجوه الجميع ، حتى استطرد العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ لقد ذهبت إلى منزل أسرتكما ، فى قريتكما الأم ، وهناك رأيت صورًا لجميع أفراد الأسرة ، بينها ما بدا لى ــ لحظتها ــ كصورتين لك يا سيِّد (مروان) ، تتوسَّطهما صورة شقيقتك (فريدة) ، وبعدها تعاقبت الأحداث على نحو مثير ، فكشفت لى أنك لم تلق مصرعك ، على الرغم من أنك صورة طبق الأصل من القتيل ، وأثبتت تحرياتى أن شقيقكما لم يلق مصرعه فى مستشفى الأمراض العقلية ، كما تصوَّر الجميع .

صمت لحظة ، تأمَّل خلالها الوجوه ، ثم تابع فى صرامة :

ــ وهنا بدت لى الحقيقة واضحة .. إن الصورتين فى منزل

قريتكما ، لم تكونا لك يا سيِّد (مروان) .. بل كانت إحداهما لك ، والأخرى لشقيقك التوءم .

انتحبت (فريدة) بشدة ، عند تلك النقطة ، وانهمرت دموع عينيها فى غزارة ، إلا أن هذا لم يوقف العقيد (خيرى) ، وهو يستطرد :

ــ لقد بقى شقيقكما على قيد الحياة ، وهرب من المستشفى ، وهو الذى لقى مصرعه .. أليس كذلك ؟

انهار (مروان) فوق أحد المقاعد ، وأخفى وجهه بين كفيه ، وهو يقول فى ألم ومرارة :

ــ سأعترف .. سأعترف لكما بكل شىء .

أصغى إليه (عصام) فى لهفة واهتمام كاملين ، فى حين قال العقيد (خيرى) فى لهجة قوية ، تجمع ما بين الحزم والثقة والهدوء :

ــ هات ما لديك .. كلنا آذان مصغية .

وهنا بدأ (مروان) يروى :

ــ إنها قصة عجيبة حقًا ، قد لا أصدقها أنا نفسى ، لو لم يخبرنا والدنا بجزء منها ، ونعيش نحن الجزء الآخر .. إن والدنا ــ بحسب روايته ــ لم يعلم بأمر ذلك الجنون الوراثى ، فى عائلة أمنا ، إلا بعد أن تزوَّجها بالفعل .. لقد أخفوا عنه الأمر ، خشية

ــ هات ما لديك .. كلنا آذان مصغية ..

وهنا بدأ (مروان يروى) ..

ألا يتزوّجها ، وعندما علم بذلك ، أصابه فزع رهيب ، وبات يخشى ليلًا ونهارًا أن ينجب ابنًا مخبولًا ، أو ابنة تعانى جنونًا خطرًا .. ثم حملت أمى ، وعاش هو تسعة أشهر رهيبة ، أنجبت أمى بعدها توءمين .. أنا و (ماجد) ، وبدونا للجميع طفلين طبيعيين ، حتى أن أبى قد بات يسخر من أمر ذلك الجنون الوراثى ، وسمح لأمى بانجاب طفلة أخرى بعدنا .. هى (فريدة) .

صمت (مروان) بضع لحظات ، عند هذا الجزء من الأحداث ، وكأنما يحاول أن يجتر ذكرياته ، قبل أن يتابع :

ـــ وفجأة بدت على أمى علامات الجنون المطبق ، وراحت ترتكب المحاولة بعد الأخرى ، لقتل أبى ، بحجة أنه يكرهها ، ويدعى جنونها .. وفى ذات ليلة ، وبعد أن فشلت فى قتله ، سجنت نفسها داخل حجرتها ، وقطعت شرايين معصمها ، وراحت تنزف حتى الموت .

راحت (فريدة) تبكى فى حرارة ومرارة ، وكأنما أعادت إليها ذكرى أمها كل ما ملأ قلبها من أحزان ، فى حين استطرد (مروان) :

ـــ وبعدها عاش أبى لنا فحسب ، ورفض أن يتزوّج

أخرى ، وبقى يرعانا ، إلى جوار مهنته ، حتى بلغت و (ماجد) السابعة عشرة من عمرنا ، وبلغت (فريدة) الخامسة عشرة ... هنا برز جنون شقيقنا فجأة ، فراح يخنق كل هرّة تدخل إلى المنزل ، ويسلخ الدجاجات حية ، ويفعل كل ذلك بتلذذ عجيب ، مما اضطر والدى لإيداعه مستشفى الأمراض العقلية ، التى فرّ منها بعد بضع سنوات ، وتسبب فى موت أبى ، عندما هاجمه فى منزل قريتنا ..

صمت مرة أخرى ، وازدرد لعابه فى مرارة ، ثم تابع :

ـــ ولم يكن أبى قد أخبرنا بفرار شقيقنا ، ولا بأنه ما يزال على قيد الحياة ..

كل ما أخبرنا به هو أنه قد لقى مصرعه ؛ لذا فقد ظللنا نجهل أمر وجوده على قيد الحياة ، حتى بعد أن تزوّجت أنا تلك المرأة الثرية ، التى ماتت وتركت لى عشرين مليونًا من الجنيهات .. بعدها ظهر (ماجد) فجأة ، وراح يطالبنى بنصف الثروة ، بحجة أنه شقيقى التوءم ، ولما رفضت ، اختطف ابنتى (حنان) ، وهدّدنى بقتلها ، ثم وافق على أن يعيدها إلىّ أخيرًا ، مقابل ثلاثة ملايين جنيه ، وهنا أخذت ابنتى واختفيت ، وأنا أخشى أن يعثر علينا ، ثم فوجئت فى أثناء ذلك أنه كان قد استغل وجود ابنتى معه ، وأقنعها بأنه والدها ، وقام بسحب كل أرصدتى

من البنوك ، وحوّلها إلى جنيهات ذهبية ، أخفاها فى مكان مجهول ، وأنا الآن أبذل أقصى جهدى ، لمعرفة ذلك المكان ، الذى أخفى فيه أموالى ، واستعادتها .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ ولكنه أخبرنى أنه أنت ، وكان يتحدّث بصدق تام !!

هزّ (مروان) رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ــ لا تنس أبدًا أنه مجنون يا أستاذ (عصام) .. ومن يدرى .؟ ربما كان يصدّق فعلًا أنه أنا .

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردًا :

ــ أنا نفسى أتساءل أحيانًا .. من منا (ماجد) ؟ ، ومن منا (مروان) ؟ .. حتى (فريدة) ، عندما رأت جثته ، ظنت أنها أنا .. إننا حقًا صورة طبق الأصل من بعضنا ، فيما عدا الجنون .

انفجر فجأة صوت صغير ، يقول :

ــ كاذب .. أنت كاذب .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، ورأوا الصغيرة (حنان) ، وهى تشير إلى (مروان) ، وتصرخ فى انهيار .

ــ هذا الرجل كاذب .. إنه ليس أبى .. ليس أبى .

ثم استدارت فجأة إلى (عصام) مستطردة :

ــ هذا هو أبى الحقيقى .

وسقطت فاقدة الوعى ..

* * *

٧ ــ أوّل الخيط ..

التف الجميع حول فراش الصغيرة ..

(عصام) و(خيرى) و(مروان) و(فريدة) ..

كان الجزع والإشفاق يملآن كل الوجوه ..

وكانت الحيرة تطلّ من كل العيون ..

وفى مرارة ، غمغم (مروان) :

ــ لست أدرى ما الذى فعله ذلك المجنون يا بنتى ، حتى تستنكر أبوتى لها إلى هذا الحد ؟!

ربّت (خيرى) على كتفه ، قائلًا :

ــ اطمئن يا سيّد (مروان) .. سيعود كل شىء إلى طبيعته بإذن الله ، وستستعيد ابنتك عقلها ، وقدرتها على تمييز الأمور .

زفر (عصام) فى قوة ، وهو يقول :

ــ من حسن الحظ أن خطيبتى لم تكن هنا ، عندما قالت (حنان) إننى أبوها ، وإلا فما نجوت من سيل من الاتهامات والأسئلة .

غمغم (مروان) فى حنق :

ــ هذا من أتفه الأمور يا أستاذ (عصام) ، بالنسبة لما نواجه .

احتقن وجه (عصام) ، وعقد حاجبيه فى غضب ، ثم قال لـ(خيرى) ، وكأنه يحاول الفرار من ذلك الموقف :

ــ قل لى يا سيادة العقيد ، ماذا فعلتم بذلك المجرم ، الذى سقط من أعلى السلم ، فى أثناء قتاله معى ؟

أجابه (خيرى) فى توتر :

ــ لقد لقى مصرعه على الفور .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حدة :

ــ الواقع أنك قد أصبحت تترك خلفك عشرات الجثث ، فى الآونة الأخيرة يا (عصام) .

قال (عصام) فى عصبية :

ــ إننى أدافع عن نفسى ، وكل وكلاء النيابة اقتنعوا بذلك ، بدليل أنهم فى كل مرة يفرجون عنى ، دون كفالة .

صاح به (خيرى) :

ــ ستدان مرة بجريمة قتل ، و ....

قاطعه (مروان) فى حدة :

ــ كفى أيها السيدان .. ليس هذا وقت مناقشة مثل تلك الأمور .

تبادل (خيرى) و (عصام) نظرة خجلى ، ثم غمغم الأوّل :

ــ إنها الأعصاب المتوترة فحسب .

تململت الصغيرة فى تلك اللحظة ، فهتفت (فريدة) :

ــ إنها تستعيد وعيها .

صمت الجميع ، وتركّزت أبصارهم على وجه الصغيرة الملائكى ، وهى تتنهّد ، وتتأوّه لحظة ، قبل أن تفتح عينيها الزرقاوين الجميلتين ، مما منحها مظهرًا مشرقًا ، جعل (عصام) يشعر بمرارة فى حلقه ، وبإشفاق على جمالها وبراءتها من الجنون ..

وفجأة اتسعت عينا الصغيرة فى رعب ، وهى تحدّق فى وجه (مروان) ، وراحت تصرخ :

ــ ابتعد .. ابتعد عنى .. إنك لست أبى .. لست هو .

تراجع (مروان) ، وهو يلوّح بكفه ، قائلًا فى جزع :

ــ حسنًا .. حسنًا يا بنتى .. سأتراجع .. سأبتعد .

أدارت الصغيرة عينيها إلى (عصام) ، وهتفت :

ــ أنقذنى يا أبى .

ثم تشبّثت به ، وهى تبكى ، مستطردة :

ـ كلهم يريدون قتلى .. أنت وحدك ستحمينى .. أنت يا أبى .

تلفَّت (عصام) حوله فى حيرة ، ثم ربَّت على ظهرها ، مغمغمًا فى إشفاق :

ـ بالطبع يا بنيتى .. بالطبع .

هتفت وهى تشير إلى الباقين :

ـ أخرجهم من هنا يا أبى .. أخرجهم .

صاح (عصام) :

ـ اخرجوا .. اتركونى مع ابنتى وحدنا .

أسرعوا جميعًا يغادرون الحجرة ، وتركوه مع الصغيرة ، التى احتضنته فى قوة ، وهى تقول فى ضراعة :

ـ لا تتركنى يا أبى .. أرجوك .. أنت الوحيد الذى سيحمينى .

غمغم فى مزيج من الحيرة والإشفاق :

ـ سأفعل يا بنتى سأفعل .

رفعت عينيها إليه ، وهى تقول :

ـ أعلم أنك ستفعل .. هكذا أخبرنى أبى .

حدَّق (عصام) فى وجهها بدهشة ، وهتف :

ـ أخبرك من ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ أبى .... لقد أخبرنى أنك ستكون أبى من بعده ، وأرانى صورتك ، وطلب منى أن أطيعك ، وأن أرشدك إلى موضع الثروة ، على ألا تخبر بها أحدًا .

برقت عينا (عصام) فى أمل ولهفة ، وأمسك كتفى الصغيرة ، هاتفًا فى انفعال جارف ، اكتسح أمامه كل مشاعره الأخرى :

ـ هو قال لك ذلك ؟

أجابته فى حزم :

ـ بالطبع .. ألم يخبرك ؟

هتف فى انفعال :

ـ لقد أخبرنى .

ثم تطلَّع إلى عينيها مباشرةً ، وقال فى لهفة :

ـ أين يا صغيرتى ؟.. أين ؟

سألته فى حيرة طفولية :

ـ أين ماذا ؟!

سألها فى لهفة :

تلفّتت حولها فى حذر ، ثم مالت على أذنه ، قائلة :
ـ فى (الإسكندرية) .. فى شقة أمى الخاصة ..

ـ أين وضع الثروة ؟

تلفّتت حولها فى حذر ، ثم مالت على أذنه ، قائلة :

ـ فى (الإسكندرية) .. فى شقة أمى الخاصة .

برقت عينا (عصام) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !!.. يا إلهى !!

لقد توصّل إلى موضع الثروة ..

لقد أمسك طرف الخيط ..

* * *

تشبّثت الصغيرة بـ(عصام) طيلة الطريق ، من (القاهرة) إلى (الإسكندرية) ، وهى تتطلّع فى خوف وحذر إلى (مروان) ، الّذى بدا شديد التأثر والحزن ، لذلك الأسلوب ، الذى تعامله به ابنته ، وغمغم فى مرارة :

ـ لو أن هذا الوغد عاد إلى الحياة ، لقتلته عشرات المرات ، فكم هو مؤلم أن يجد المرء ابنته الوحيدة ، وقد اعتبرته عدوًا .

هتفت الصغيرة فى عناد :

ـ لست أبى .

صاحت بها (فريدة) فى غضب :

ـ لا تصيحى هكذا فى وجه أبيك .

صرخت الصغيرة :

قلت إنه ليس أبى .

ربّت (عصام) على كفها فى حنان ، قائلًا :

ـ حسنًا يا بنتى .. هو ليس والدك .. ولن يؤذيك .

صاحت معاندة :

ـ لن يجرؤ .

تنهّد العقيد (خيرى) ، الذى يجلس إلى جوار (عصام) ، وقال :

ـ بالطبع .. لن يجرؤ أى مخلوق على إيذائك .. المهم أن توصلينا إلى موضع الثروة .

قالت فى حدة :

ـ سأرشد إليها أبى (عصام) فقط .

هتف (مروان) فى سخط :

ـ حسنًا .. افعلى .

بلغت السيارة أخيرًا تلك البناية الأنيقة ، المطلّة على شاطئ (الإسكندرية) ، وقال (مروان) :

ـ هنا شقة زوجتى الراحلة الخاصة .. فى الطابق الثالث .

هتفت الصغيرة فى غضب :

ـ بل هى شقة أمى .

صعد الجميع إلى الشقة ، وفتحها (مروان) بمفتاحه ، ثم أشار بيده ، قائلًا :

ـ ها هى ذى .

كانت شقة أنيقة التأثيث بالفعل ، متألّقة ، بهرت (عصام) و (خيرى) ، وحتى (فريدة) ، التى هتفت :

ـ يا للثراء !!

أما (عصام) ، فقد انحنى على أذن الصغيرة ، وقال :

ـ أين الثروة يا بنيتى ؟

أشارت إلى حجرة جانبية مغلقة ، وهى تقول فى لهفة :

ـ هنا .

أسرع الجميع إلى الحجرة ، ودفع (عصام) بابها فى لهفة ، ثم تسمّر فى مكانه ، وقد شعر بحنق شديد ..

لقد كانت الحجرة خاوية ..

خاوية تمامًا ..

* * *

٨ ــ الغضب ..

لوّح العقيد (خيرى) بذراعه فى سخط ، وهو يجلس خلف مكتبه ، فى مديرية أمن (القاهرة) ، وهتف فى حدة :

ــ أى هراء هذا ؟!.. بل أية حماقة ؟!.. لقد سمحنا لأنفسنا بأن تنقلنا أقوال فتاة مصابة بالجنون الوراثى ، من (القاهرة) إلى (الإسكندرية) ، سعيًا وراء أمر سخيف ، كان من المستحيل أن نتبين كنهه ، داخل حجرة خالية .

غمغم (عصام) ، محاولًا تبرير الأمر :

ــ ربما كان هناك مخبأ سرى ، أو .....

قاطعه (خيرى) فى حدة :

ــ أو ماذا ؟! .. أهو كنز قرصان دموى ؟.. ما كان ينبغى أن نصدّق تلك الصغيرة أبدًا .

تنهّد (عصام) ، وقال :

ــ ولكنها تبدو لى بريئة وطبيعية للغاية .

لوّح (خيرى) بسبّابته فى وجهه ، وهو يقول :

ــ تذكّر أن عمها ظل طبيعيًا ، حتى بلغ السابعة عشرة من عمره .

تنهّد (عصام) مرة أخرى ، وقال :

ــ أنت على حق .

ران الصمت لحظة ، ثم سأله (خيرى) :

ــ أين تحتفظ بها ؟

أجابه (عصام) :

ــ فى منزل (نهلة) ، خطيبتى .. إنه أفضل مكان الآن ، ما دامت تخشى رؤية والدها .

هزّ العقيد (خيرى) رأسه ، وقال :

ــ إننى أتساءل حقًا .. كيف نجح عمها فى إقناعها بأن أباها ليس هو أباها حقًا ؟

أجاب (عصام) فى خفوت :

ــ من السهل فعل ذلك مع فتاة صغيرة ، وخاصة بعد كل ما مرت به من أحداث مرهقة .

لوّح العقيد (خيرى) بذراعه مرة أخرى ، وهو يقول فى غضب :

ــ لن يفوق ما مررنا به نحن .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى حنق :

ـــ إننا حتى لا نجد دليلًا واحدًا .

اتسعت عينا (عصام) بغتة ، وبرقتا ، وهو يغمغم فى انفعال :

ـــ يا إلهى !!.. المخلب .. المخلب الذهبى !

حدّق (خيرى) فى وجهه بدهشة ، وهو يهتف :

ـــ أى مخلب هذا ؟

اندفع (عصام) نحو الباب ، هاتفًا :

ـــ إنه الحل .. حل اللغز كله يا سيّدى .

وقبل أن ينبس (خيرى) ببنت شفة .. وقبل حتى أن تتلاشى دهشته ، كان (عصام) قد قفز خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ..

وبقى (خيرى) لحظات يحدّق فى الباب فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يقول فى سخط :

ـــ لقد أصيب الجميع بالجنون .

ثم عاد يواصل أعماله الروتينية ..

* * *

تهلّلت أسارير (نهلة) ، عندما استجابت لرنين جرس الباب ، فوجدت أمامها (عصام) ، وهتفت فى سعادة :

ـــ (عصام) !.. يا لها من مفاجأة سارة !!.. إننى لم أتوقّع أبدًا أن ..

قاطعها فى لهفة :

ـــ أين (حنان) ؟

عقدت حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول :

ـــ أجئت من أجلها فقط ؟

لم ينتبه إلى رنة الغضب فى صوتها ، وهو يقول :

ـــ إننى أرغب فى التحدّث إليها .. أين هى ؟

أشارت فى غضب إلى حجرة جانبية ، قائلة :

ـــ هناك .. إنها تلعب مع أبى .

اندفع نحو الحجرة الجانبية ، ورأى الدكتور (أحمد شديد) ، والد (نهلة) ، والعالم الشهير ، وهو يداعب الصغيرة فى مرح وسعادة ، وهى تضحك وتمرح فى عبث طفولى جميل ..

ومرة أخرى شعر (عصام) بالإشفاق ، وهو يتطلّع إلى الصغيرة ، التى أصابتها لعنة عائلتها فى الطفولة ، ومنحتها جنونًا قاسيًا مريرًا ..

وانتبه الدكتور (أحمد) ، والصغيرة إلى (عصام) ، فهتفت (حنان) فى سعادة :

ـ أبى .. أبى الجديد .

وأسرعت تتعلّق بـ(عصام) فى لهفة ، على حين نهض الدكتور (أحمد شديد) مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (عصام) .. ابنتك الجديدة هذه رائعة .. إنها من ألطف من قابلت من الأطفال .

ربَّت (عصام) على ظهر الطفلة فى حنان ، وهو يقول :

ـ إنها كذلك بالفعل .

تطلّعت إليه (نهلة) بنظرة جانبية ، وهى تقول :

ـ أحقًّا ؟!.. إننى أتساءل بالفعل ، عن سر حبك الشديد لها ، وسر مناداتها لك بلقب (أبى) !!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ فيم تفكرين ؟

هزَّت كتفيها ، مغمغمة :

ـ فيما يمكن أن يفكّر فيه أى مخلوق طبيعى .

أطلق والدها ضحكة عالية ، وقال :

ـ هذا فى حد ذاته تفكير غير طبيعىّ .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى جدية :

ـ وبمناسبة التفكير .. هذه الصغيرة تبدو لى طبيعية للغاية ، وليست كما تقول عنها .

غمغم (عصام) مشفقًا :

ـ تذكَّر أن مرضها يظهر فجأة .

تنهَّد الرجل ، وغمغم فى عطف :

ـ يا للمسكينة !

انحنى (عصام) نحو الصغيرة ، وداعب المخلب الذهبىّ ، المعلّق فى قلادتها ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ (حنان) .. أيمكننى استعارة مخلبك الذهبىّ الجميل هذا ؟

نزعت (حنان) القلادة من حول عنقها ، وهى تقول فى بساطة طفولية :

ـ بل يمكنك أن تحتفظ به .

ابتسم (عصام) ، وداعب شعرها ، قائلًا فى حنان :

ـ لن آخذ ما يخصك يا عزيزتى .

هتفت فى حماس :

ـ بل هو يخصك أنت .. هذا ما قاله أبى .

سرت موجة من الانفعال فى عروق (عصام) ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!.. ما الذى قاله أبوك ؟

أشارت إلى المخلب الذهبىّ فى راحته ، وهى تقول :

ـــ قال لى أن أعطيك هذا وأن أرشدك إلى تلك الحجرة ، فى شقة أمى ، وأن أخبرك أن هذا المخلب ، هو مفتاح اللغز كله .

تألّقت عينا (عصام) ، وهتف فى لهفة :

ـــ يا إلهى !!

ثم ضمّ الصغيرة إلى صدره ، وقبّلها فى قوة ، هاتفًا :

شكرًا لك يا صغيرتى .. شكرًا .

واندفع نحو باب الشقة ، وصوت (نهلة) يرتفع من خلفه فى دهشة :

ـــ إلى أين ؟!

ولكنه لم يجب ..

فقد انطلق ؛ ليكمل حل اللغز ..

لغز المخلب الذهبىّ ..

* * *

تأمّل الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى الشاب ، ذلك المخلب الذهبىّ فى هدوء ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـــ إنه مجرّد حلية ذهبية يا (عصام) .

سأله (عصام) فى لهفة وانفعال :

ـــ إنه ليس كذلك بالتأكيد ، فصاحبه ترك لنا رسالة ، تقول إن هذا المخلب الصغير يحوى حل اللغز كله .

ابتسم (على) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ ولكن صاحبه مجنون .

أجابه (عصام) فى حدة :

ـــ هذا لا يعنى أنه غبى .

هزّ (على) كتفيه ، مغمغمًا :

ـــ ربما .. لست طبيبًا نفسيًّا ، لأصدر حكمًا فى ذلك الشأن ثم عاد يتأمّل المخلب ، مستطردًا :

ـــ كل ما يمكننى فعله هو أن أفحص هذا الشىء .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ ماذا ستفعل به ؟

عاد يهز كتفيه ، قائلًا :

ـــ سأفحصه ميكروسكوبيًّا ، وبالأشعة ، بحثًا عن أية رسالة على سطحه ، أو داخله ، وبعدها لن أستطيع أن أفعل شيئًا .

تنهّد (عصام) ، وقال :

ـــ حسنًا .. يمكنك أن تبدأ .

يتسم (على) ، مغمغمًا :

ـــ سأفعل .

ثم فتح درج مكتبه ، والتقط منه مسدسًا ، ألقاه أمام (عصام) ، مستطردًا فى هدوء :

وفى هذه الأثناء يمكنك أن تتسلّى بفحص ذلك المسدس ، واللهو به قليلًا ..

تطلّع إليه (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ لماذا ؟.. أى عبث هذا ؟

مطّ (على) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ إنه مسدسك .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ مسدسى أنا ؟!

أجابه (على) فى هدوء :

ـــ أقصد أنه ذلك المسدس ، الذى كان يحمله ذلك المجنون .

اتسعت عينا (عصام) ، وهتف فى دهشة :

ـــ يا إلٰهى !! كيف نسيت هذا ؟ .. لقد ألهتنى الأحداث المتلاحقة عن تذكّر ذلك .. لقد أعطانى (ماجد) هذا المسدس ، وقال لى إنه قد قتل به شخصًا ، وأن هذا الشخص هو أقرب أقاربه .

قال (على) فى هدوء ، وهو يضع المخلب تحت عدسة المجهر :

ـــ لا تصدّق حرفًا واحدًا ، إنها قصة مجنون .

هتف (عصام) معترضًا :

ـــ لا يمكنك الجزم بذلك .

رفع (على) عينيه إليه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ بل يمكننى ، فمن المستحيل أن يقتل أى مخلوق مخلوقًا آخر بهذا المسدس ؛ لأنه ببساطة ليس مسدسًا عاديًا .. إنه مسدس صوت فحسب ..

مسدس زائف ..

* * *

٩ ــ لمحة حقيقة ..

« صوت ؟!.. » .

هتف العقيد (خيرى) فى دهشة ، وهو يقلّب المسدس بين يديه ، قبل أن يعقد حاجبيه ، ويستطرد فى سخط :

ــ اللعنة على أولئك التجار ، الذين يغمرون الأسواق بتلك الأسلحة السخيفة ، التى تشبة الأسلحة العادية ، إلى حد يستحيل معه التفرقة بينهما ، حتى بالنسبة إلى الخبراء .

ثم قلب المسدس ، وناوله إلى (عصام) ، مردفًا فى حنق :

ــ أتعلم ما الفارق بين هذا المسدس ، وأى مسدس حقيقى ؟!.. الفارق الوحيد هو أن ماسورة ذلك المسدس مسدودة ، وأن خزانته تحوى رصاصات زائفة (فشنك) ، أى أنك لو استبدلت بتلك الماسورة المسدودة أخرى مفتوحة ، ووضعت رصاصات حقيقية ، بدلًا من تلك الزائفة ، لأصبحت تمتلك مسدسًا حقيقيًا ، دون الحاجة إلى ترخيص بحمله .

تمتم (عصام) :

ــ هذا صحيح .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ هناك فارق آخر ، فلو أن هذا المسدس زائف ، فسيعنى هذا أن قصة (ماجد) كلها زائفة ، وأنه مجنون حقيقى ، فيما عدا ذلك الجزء من قصته ، الخاص بإخفاء النقود .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وسأله فى اهتمام :

ــ قل لى أوّلًا .. ماذا عن ذلك الخلب الذهبىّ ؟ .. هل فحصته جيّدًا ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ لقد فحصه (على) جيّدًا ، ولكنه لم يعثر فيه على أى شىء غير طبيعى .

تمتم (خيرى) فى حيرة :

ــ عجبًا !!

ران عليهما الصمت بعدها لحظات ، قبل أن يقول (عصام) :

ــ أتعلم يا سيادة العقيد ؟.. إننى أعتقد أن الأمر يحتاج إلى زيارة أخرى ، لشقة (الإسكندرية) .

سأله (خيرى) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

أجابه (عصام) فى حماس :

ـ لأن بحثنا فى المرة السابقة كان متخاذلًا ، فلقد أصابنا خلو الحجرة بصدمة ، أفقدتنا الأمل فى كل ما قالته (حنان) .

عقد (خيرى) حاجبيه مفكرًا ، وغمغم :

ـ نعم .. ربما كنت على حق .

ثم عاد يقلّب المسدس بين كفيه ، مغمغمًا :

ـ على حق تمامًا .

قال (عصام) فى حماس :

ـ سأعود لتفتيش شقة (الإسكندرية) ، وفحصها جيدا .

قال (خيرى) فى حزم :

ـ اسمع يا (عصام) .. لقد سئمت تحديك للقوانين ، وتحطيمك لها ، ولو أنك اقتحمت شقة ذلك الرجل ، دون إذن مسبق منه فسأ.....

قاطعه (عصام) :

ـ ومن قال إننى سأتسلّل إليها .. إننى سأصحب (مروان) وشقيقته معى إلى هناك .

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم تمتم :

ـ نعم .. أعتقد أن ذلك أفضل .

ثم أضاف فى سرعة :

ـ ولكننى لن أصحبكم هذه المرة .

وشرد ببصره لحظة ، ثم أكمل فى لهجة حازمة :

ـ ففى هذه المرة ، سيجتذبنى عمل هام .. هام للغاية .

* * *

زفر (مروان) فى قوة ، وهو يجلس إلى جوار (عصام) ، فى سيارة هذا الأخير ، التى تنطلق من (القاهرة) إلى (الإسكندرية) ، وقال فى توتر :

ـ أتريد رأيى بكل صراحة يا أستاذ (عصام) ؟.. إننى أظن أننا نلهث وراء سراب ، فتلك الحجرة الخالية لن تحوى قرشًا واحدًا .

سأله (عصام) فى حماس :

ـ وماذا عن باقى المنزل ؟

سأله (مروان) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه فى انفعال :

ـ أعنى أنه من المحتمل أن تخطئ الصغيرة الحجرة ، ولكنها لن تخطئ المكان كله .

غمغمت (فريدة) ، من المقعد الخلفى ، فى توتر :

ـــ أتعنى أنه من المحتمل أن الثروة هناك حقًا ؟

أجابها (عصام) :

ـــ إنه احتمال كبير .

عقد (مروان) حاجبيه ، وتبادل نظرة مع شقيقته ، فى المقعد الخلفى ، ثم قال فى عصبية :

ـــ اسمع يا أستاذ (عصام) ، لو أنك واثق مما تقول ، فسأذهب معك إلى نهاية العالم ، أما لو أنه مجرّد تخمين ، فسوف ..

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ـــ ستذهب معى يا سيّد (مروان) .. لأن هذه هى فرصتنا الوحيدة ، فإما أن نجد الثروة ، أو نفقدها إلى الأبد .

ران الصمت على السيارة تمامًا ، بعد أن ألقى عبارته الصارمة ، ثم قالت (فريدة) فى لهفة :

ـــ سأذهب معك .

صمت (مروان) بعدها بضع لحظات ، ثم غمغم بدوره :

ـــ وأنا أيضًا .

ابتسم (عصام) فى ارتياح ، وقال :

ـــ حسنًا .. الآن يمكننا أن ننطلق نحو الحقيقة .. ونحو الحل .

* * *

ابتسم الدكتور (فتحى) ابتسامة واسعة ، وهو يستقبل العقيد (خيرى) فى مكتبه للمرة الثانية ، خلال يومين ، وهتف ضاحكًا :

ـــ يا للقدر !!.. ستة أعوام دون أن نلتقى ، ثم لقاءان فى يومين متتاليين .. يالها من مصادفة !

ابتسم (خيرى) ، وهو يصافحه قائلًا :

ـــ ليست مصادفة ، كما لابد أنك تعلم .

ضحك (فتحى) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـــ أعلم طبعًا .. إنه عمل ولا ريب .

ثم جلس ، وسأله فى اهتمام :

ـــ أما زلت تبحث فى قضية (ماجد فريد) هذه ؟

أومأ (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ إنها قضية معقّدة بحق .

ثم سأله بغتة :

ـــ قل لى .. هل يمكن للمصاب بذلك الجنون ، الذى أصيب به (ماجد فريد) ، أن يتخيّل وقوع أحداث غريبة ؟

أومأ الدكتور (فتحى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بالطبع .. إنه قد يتخيَّل أحداثًا عنيفة ، يهدِّده فيها أحدهم بالقتل ، بسبب عقدة الاضطهاد فى أعماقه ، أو قد يتخيَّل نفسه شخصًا آخر .

تنهَّد (خيرى) ، وغمغم ..

ــ هذا ما حدث بالفعل .

وزفر مرة أخرى فى أسف ، وهو يستطرد :

ــ يا لها من لعنة !!.. إنه لمن المؤسف أن تصاب بذلك الجنون طفلة ملائكية كـ(حنان) ، و .....

قاطعه الدكتور (فتحى) ، هاتفًا :

ــ ماذا ؟!.. أية طفلة هذه ؟

تطلَّع إليه العقيد (خيرى) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ابنة (مروان فريد) ، شقيق (ماجد) .. لقد أصابها ذلك الجنون الوراثى ، و .....

قاطعه (فتحى) فى حزم :

ــ مستحيل يا (خيرى) .. مستحيل .. لن تصاب الصغيرة بذلك الجنون .. لن تصاب به قط .. وهذا قول خبير .

* * *

دلف (عصام) و (مروان) و (فريدة) إلى شقة الإسكندرية ، ووقف ثلاثتهم يديرون أبصارهم فيها ، ثم غمغم (مروان) :

ــ أين سنبحث ؟

تردَّد (عصام) لحظات ، ثم قال :

ــ سنبدأ بنفس الحجرة الخالية .

غمغم (مروان) فى حنق :

ــ إنها مضيعة للوقت إذن !

لوَّح (عصام) بكفه ، قائلًا :

ــ من السهل استبعادها أوَّلًا .

تبعه (مروان) و (فريدة) إلى الحجرة ، التى لم تكن تحوى سوى لوحتين زيتيتين ، إحداهما لسيِّدة جميلة ، والأخرى لـ(مروان) ، وأشار (عصام) إلى اللوحتين ، قائلًا :

ــ ربما كانت خلفهما خزانة ما .

هزَّ (مروان) رأسه ، وقال :

ــ مستحيل .. إنهما مثبتتان على الحائط تمامًا .

وقف (عصام) يتأمَّل فى اللوحتين ، ثم توقف بصره عند تلك القلادة ، التى ترتديها السيِّدة ، والتى تحمل نفس المخلب الذهبى ، وهتف :

ثم توقف بصره عند تلك القلادة ـ التى ترتديها السيِّدة ، والتى تحمل نفس المخلب الذهبى ..

ـ إذن فهى صاحبة المخلب .

سألته (فريدة) فى دهشة :

ـ أى مخلب ؟

أشار إلى المخلب فى الصورة ، قائلًا :

ـ هذا المخلب الذهبى .. لقد كانت (حنان) ترتديه .. وهو معى الآن .

مطَّت (فريدة) شفتيها ، وقالت فى بغض أدهشه :

ـ نعم .. لقد كانت ثرية ، ولكنها شحيحة .. لقد جعلته هو أيضًا شحيحًا .

سألها فى دهشة :

ـ هو من ؟!

اختلست نظرة ملؤها الخوف على (مروان) ، ثم غمغمت :

ـ لا عليك .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت (مروان) ، وهو يقول :

ـ هيا .. سنبحث فى باقى المنزل .

انهمك ثلاثتهم فى البحث ، وقلبوا كل الأثاثات تقريبًا ، حتى أصابهم الإرهاق ، بعد ثلاث ساعات من البحث

المتواصل ، فتهالك (مروان) فوق مقعد قريب ، وهتف فى سخط :

ـــ ليس هنا .. لا أثر لقرش واحد هنا .. لقد أخطأنا .

زفر (عصام) فى توتر ، وهو يقول :

ـــ ولكن حديث (حنان) .. لقد كان يؤكد أن ..

قاطعته (فريدة) فى سخط :

ـــ وهل ستصدق حديث تلك المجنونة ؟.. إنها حتى لا تتعرف والدها .. إنها مثل المغناطيس ، تجذب إليها كل السخافات .

غمغم (عصام) فى ضيق :

ـــ إنها فتاة رقيقة .. من المستحيل أن تكون مثل الـ.....

بتر عبارته بغتة ، وهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـــ يا إلهى !!.. هذا هو الحل .. هذا هو الحل .

ثم اندفع نحو الحجرة الخالية ، هاتفًا :

ـــ لقد عرفت السر .. سر المخلب الذهبى ..

* * *

١٠ ـــ الحقيقة ..

تبادل (مروان) وشقيقته نظرة مفعمة بالانفعالات ، ثم اندفعا فى آن واحد إلى الحجرة ، خلف (عصام) ، الذى أخرج المخلب من جيبه ، وهو يهتف :

ـــ المغناطيس هو الحل .. هل رأى أحد كما قفلًا مغناطيسيًا من قبل ؟.. إنه عبارة عن قفل عجيب ، يتم فتحه بواسطة قطعة معدنية خاصة ، ما أن تنطبق على الفراغ الخاص بها ، حتى تجذب رتاج القفل ، فيتم فتحه ، وهذه القطعة عادة من مادة غير مغناطيسية ، ولكنها تعتمد على التجاذب الاستاتيكى .. وهذا بالضبط ما سيحدث الآن .

وأشار إلى اللوحة التى تمثل أم (حنان) فى انفعال ، هاتفًا :

ـــ وفى حالتنا هذه ، ستكون اللوحة هى القفل .

وبحركة سريعة ، ألصق المخلب الذهبىّ بصورته المرسومة عند عنق الأم ، مستطردًا فى حماس :

ـــ والمخلب هو المفتاح .

لم يكد المخلب الذهبىّ ينطبق على صورته المرسومة ، حتى

سمع الثلاثة صوت تكة خفيفة ، انزاحت بعدها اللوحة جانبًا ، لتكشف عن فجوة كبيرة ، اصطفت داخلها الجنيهات الذهبية ، التى تألّقت تحت أضواء الحجرة ، وصوت (عصام) يموج بالانفعالات ، وهو يهتف :

ــ ها هى ذى الثروة .. ها هى ذى الـ .....

بتر عبارته بغتة ، واجتاحه خوف مفاجئ ، عندما لمح ذلك البريق المخيف ، فى عينى (مروان) و (فريدة) ، وهما يتطلّعان إلى الثروة ..

وفجأة اتضحت له الأمور كلها ..

فجأة استبانت له الحقيقة ..

وفى ذعر وخفة ، تراجع (عصام) ، والتصق بالحائط ، هاتفًا :

ــ إذن فهو أنت .

ابتسم (مروان) ابتسامة شرسة ، وتألّقت عيناه فى جنون ، وهو يقول :

ــ نعم .. هو أنا .

لقد أدرك (عصام) أنه لا يواجه (مروان فريد) .. بل شقيقه المجنون .. شقيقه (ماجد) .

* * *

مضت لحظات من الصمت ، و (عصام) يحدّق فى العينين ، اللتين أطلّ منهما جنون حقيقى مخيف ، قبل أن يتمتم :

ــ أنت القاتل .

هتفت (فريدة) فى لهفة :

ــ دعه يا (ماجد) .. دعه يمضى .. ولنحصل نحن على النقود .

تألّقت عينا (ماجد) ببريق جنونى ، وهو يقول :

ــ ليس قبل أن أقتله .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حدة :

ــ الآن أدركت كل شىء .. الآن أدركت من قتل (مروان) المسكين .. أدركت لماذا هتفت (فريدة) باسمه ، عندما رأت جثته .. لقد فعلت لأنها رأته هو ، وليس لأنها تصوّرته أنت .. لقد كان المسكين على حق ، لقد كان يواجه أقرب أقاربه .. يواجه شقيقه التوءم .. أنت اختطفت ابنته ، وهدّدته بقتلها ، ولما كان يعلم بجنونك المطبق ، وشهوتك للقتل ، فقد دفع لك ثلاثة ملايين ، واستعاد ابنته ، ولكنه كان يعلم أنك لن تكف ؛ لأنك مجنون .. لذا فقد اختفى بابنته ، وصنع هذا المخبأ ، وأودعه كل ثروته ، التى ورثها من زوجته ،

ولما لم يكن يدرى أن شقيقته ضليعة فى الأمر ، وأنها أيضًا تكرهه ؛ لأنه كان شحيحًا ، لم يمنحها جزءًا من الثروة ، التى ينعم بها ، فقد ترك لها ابنته ، وجاء يطلب منى العون .. وهنا قتله رجلك ، الذى لقى مصرعه فى منزل (فريدة) ، وكنت أنت تقود السيارة ، التى انطلقت به هاربة حينذاك ، والتى وجد رجال الشرطة أنها مسروقة ، ووجدوها ملقاة بلا بصمات ، فى حىّ مهجور .. وعندما ذهبت أنا إلى منزل (فريدة) ، افتعلتما قصة ؛ لإيهامى وإيهام الجميع بأنك أنت (مروان) الحقيقى ، ولما كانت ابنته تعلم أنك لست والدها ، فقد عمدتما إلى تخديرها طيلة الوقت ، ثم إلى افتعال قصة جنونها ، حتى لا تكشف أمركما ، عندما تؤكد أنك لست والدها .. وأخيرًا قدتمانى كالأحمق ، لأدلكما على مكان ثروة شقيقكما .

ابتسم (ماجد) ابتسامة جنونية ، وهو يقول :

استنتاج جيد أيها الصحفى ، ولكن ينقصه الكثير من الحقائق .

هتفت (فريدة)

ــ دعه يا (ماجد) .. سنحصل على الثروة ونهرب .

صاح فى سخرية :

ــ ولماذا أهرب ؟!.. إننى (مروان فريد) .. صاحب الثروة ، ولقد استعدت ثروتى ، وسأحيا بها منعمًا .

ثم التفت إلى (عصام) ، قائلًا :

ــ وهناك عقبة واحدة فى سبيل ذلك .

وبسرعة ، انتزع من سترته مسدسًا ، صوَّبه إلى (عصام) ، مستطردًا :

ــ سأقضى عليها الآن .

هتف (عصام) فى توتر :

ــ هل ستقتلنى ؟

أومأ (ماجد) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. وسأضع جثتك فى نفس الخزانة السرية ، بعد أن أحصل على كل ما تحويه من ذهب .

ابتسم (عصام) فجأة ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ وهل تظن أنك ستنجح ؟

قال (ماجد) ساخرًا :

ــ ومن سيمنعنى ؟

ارتفع من خلفه صوت صارم يقول :

ــ أنا ؟!

تجمَّد (ماجد) فى مكانه ، واستدارت (فريدة) فى سرعة ، وتطلَّعت فى رعب إلى العقيد (خيرى) ، الذى يصوِّب مسدسه إليها ، وإلى شقيقها ، وهتف (عصام) فى ارتياح :

ــ لقد وصلت فى الوقت المناسب ياسيِّدى .. كيف علمت بالأمر ؟

أجابه فى هدوء :

ــ لقد سألت الدكتور (فتحى) عن جنون الصغيرة ، فأكَّد لى أنه من المستحيل أن تصاب بالجنون ؛ لأن ذلك الجنون الوراثى ، الذى أصاب تلك العائلة ، هو من ذلك النوع ، الذى نطلق عليه جنون الوراثة الجنسية ، والمقصود هنا هو أنه يصيب جنسًا دون الآخر ، تمامًا كمرض الهيموفيليا (سيولة الدم) ، الذى تحمله الإناث دون أن تصاب به ، على حين تظهر أعراضه على الذكور .. هذا الجنون أيضًا يصيب ذكور العائلة دون سواهم .. وعندما أخبرنى الدكتور(فتحى) بذلك ، علمت أن قصة (ماجد) كلها كاذبة ، فمن المستحيل أن تكون أمه قد لقيت مصرعها بذلك الجنون ، ومن المستحيل أيضًا أن تصاب ابنته به ؛ لأنه لا يصيب سوى ذكور العائلة فحسب .

غمغم (عصام) مبهورًا :

ــ يا إلهى !!

تابع (خيرى) فى حزم :

ــ وهنا أدركت أن القصة كلها ملفقة ، وأن هذا يعنى أن من رواها هو (ماجد) ، وليس (مروان) .

قال (ماجد) فى حدة :

ــ أخطأت .. أنا (مروان) ، ولست (ماجد) .

ابتسم العقيد (خيرى) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لم يعد هناك ما يبرِّر الإنكار .. لقد خسرت .

صرخ (ماجد) :

ــ قلت لك إننى (مروان) .

ثم استدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار على العقيد (خيرى) ..

* * *

كانت استدارته سريعة ومباغتة حقًّا ، ولقد أصابت رصاصته ذراع العقيد (خيرى) اليسرى ، فلم يجد هذا أمامه سوى أن يطلق النار بدوره ، ولكن رصاصته لم تستقر فى ذراع (ماجد) .. بل بين عينيه تمامًا ..

وجحظت عينا الرجل ..

واندفع خيط من الدم من بين عينيه ..

وسقط ..

سقط جثة هامدة ..

سقط أمام الذهب ، الذى قاتل الدنيا من أجله ..

وأطلقت (فريدة) صرخة لوعة هائلة ، وألقت نفسها فوق شقيقها ، وهى تصرخ :

ــ لقد قتلته .. لقد قتلته .

تمتم (خيرى) فى توتر :

ــ إننى لم أكن أرغب فى ذلك .. كنت أدافع عن نفسى فحسب .

صرخت وهى تبكى فى حرارة :

ــ بل أنت قتلته .. قتلت (مروان) .

تطلّع إليها (خيرى) فى إشفاق ، وهو يقول :

ــ إنه ليس (مروان) .. إنه (ماجد) ..

هتفت فى ألم :

ــ بل هو (مروان) .. (مروان) منذ البداية .. منذ ربع قرن .

اتسعت عيون (خيرى) و (عصام) فى ذهول ، وهى تتابع فى مرارة :

ــ لقد كان (مروان) هو الذى أصيب بالجنون ، وليس (ماجد) .. ولكنه أقنع أبانا بأنه (ماجد) ، وكان هذا نوعًا من انتقامه منه ، وهكذا دخل المستشفى باسم (ماجد) ، على حين لم يجد (ماجد) أمامه سوى أن يحمل بدوره اسم (مروان) .. وتبادل الاثنان الأدوار سرًّا ، فلم يعلم بالأمر سواى ، وسواهما ، وبعدها هرب (مروان) من المستشفى ، واختفى فى منزل الأسرة ، وراح أبى ــ رحمه الله ــ يتردَّد على المنزل بين حين وآخر ، ليطعمه ويسقيه ويرعاه .

وتوقَّفت لحظات لتبكى فى حرارة ، ثم تابعت :

ــ وبعد وفاة أبى ، هرب (مروان) من المنزل ، وبقيت أنا و (ماجد) نبحث عنه طويلًا ، حتى تصوَّرنا فى النهاية أنه قد مات ، وتزوَّج (ماجد) تلك السيِّدة الثرية ، وهو يحمل اسم (مروان) ، وأنجب ابنته ، التى تحمل الاسم نفسه ، ثم ماتت زوجته ، وورث كل ثروتها .. وهنا ظهر (مروان) ، وطالبه بالثروة ، بصفته (مروان) الحقيقى .. وكان بعدها ما كان .

ران الصمت بعد روايتها تمامًا ، إلا من نحيبها وبكائها ، ثم غمغم (عصام) :

ـ أى جنون هذا ؟

رفعت (فريدة) عينيها إليه ، وقالت :

ـ بل قل أية مأساة ..

وبكت مرة أخرى ، ثم استطردت :

ـ لقد فقدت شقيقىَّ بسبب الجنون .

تمتم (عصام) :

ـ أحدهما فقط ، أما الثانى فبسبب الجشع .

انهمرت الدموع من عينيها ، وقالت :

ـ أخطأت يا أستاذ (عصام) .. لقد فقدت كليهما بسبب الجنون .

ثم عادت تبكى ، مستطردة .

ـ كيف تظن زوجة (ماجد) قد لقيت مصرعها إذن ؟

اتسعت عينيه ، وهو يهتف :

ـ أتعنين أنه ... ؟

بكت هاتفة :

ـ نعم .. لقد قتلها .. قتلها فى نوبة جنون .. لقد كان الاثنان مصابين بالجنون ..

وراحت تبكى .. وتبكى ..

وبدا كل شىء لـ (عصام) عجيبًا ، يحمل صبغة واحدة .. صبغة الجنون ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

عصام ٤ × ٢ ذات

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية المخلب الذهبي

• رجل لقي مصرعه ، وهو يستجد بـ (عصام) ، ثم لم ينطق ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، سوى بكلمتين : «المخلب الذهبي» .. فما سر هذا المخلب الذهبي ؟.. ولماذا حمل كل هذه الأهمية ؟

• ترى كيف يواجه (عصام) هذا اللغز الجديد ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وحاول أن تسبق (عصام) إلى حل اللغز..

العدد القادم

(قضية انتحار مقاتل)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ١٠٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم